خـــواطـــر

أنـا وأمـي

توفيــق الغدويني

أنـا وأمـي

توفيــق الغدويني

الكتـاب : أنا وأمي

المؤلف : توفيق الغدويني

الطبعــة : الأولى - مراكش 1445هـ/2024م

رقم الإيداع القانوني : 2024MO0885

الترقيم الدولي : 978-9920-31-223-3

التنضيد والإخراج الفني : صباح القصير

الطبع : الطباعة والورقة الوطنية IMPRIMERIE PAPETERIE EL WATANYA

زنقة أبو عبيدة، الحي المحمدي، الداوديات - مراكش

RUE ABOU OUBAIDA, CITE MOHAMMADIA, DAOUDIAT - MARRAKECH

TEL: 05 24 30 37 74 LG / 05 24 30 25 91 - FAX: 05 24 30 49 23

iwatanya@gmail.com www.elwatanya.com

بين يدي الكتاب :

هذه خواطر أبثها مدادا بعد أن كانت ألما وحرقة، أحاول بها سحق وحش الشوق، وأسلخ بها ظهر الفقد، أخرجتها من بين لبن وعسل؛ لبن الرضى، وعسل المواساة، أعزي بها نفسي، وأذكر غيري.

ومراداتي من هذا الكتب، استدرار الرحمة لأمي رحمها الله، مع جهاد في فهم معنى البر، وسؤال الله أن يبقيه صدقة جارية تخدم هذا المقصد، ومن أغيى غاياتي أن يتعظ غيري - ممن مازالت أمهاتهم على قيد الحياة- بحرقة فقدي لأمي، فيسعفه الزمن في التزام برها، والخوف من فوت الركب، ويتقي صفعات الحسرة.

فإلى كل بار تذكير بالزيادة في بره.. وإلى كل غافل تنبيه لعل التنبيه ينفعه..

ومما سيجده القارئ في هذا الكتاب من باب البر أني جعلت لأمي اسم: "ذات العيون الرمادية" لرقتها، ولأبي اسم: "صاحب الفخامة" لهيبته.

راجيا من الله بلوغ المقام الأعلى من البر.

إهداء:

إلى: "غادات العيون الرمادية."

إلى: "صاحب الفخامة."

إلى: كل من واساني

فكان لي نعم المؤنس ونعم المآزر.

إلى: كل بار ليزيد في برّه،

وكل عاق ليتعظ بحالي.

كلمة شكر

ومن واجب الخلق شكر من أولى لهذا العمل الاهتمام الكبير، فقدم له واعتنى به، الدكتور الكبير الأستاذ العراقي عبد الوهاب العدواني والدكتور الفاضل الأستاذ المغربي محمد صالح المتنوسي، والدكتور الفاضل الأستاذ المغربي مصطفى متكل، والدكتور الفاضل الأستاذ السوري محمود الغوثاني، والأستاذ الفاضل السعودي جمعان.

كما لا يفوتني شكر زوجتي حفظها الله فقد واست وآزرت، فكانت نعم المؤنس في وحشة وحلكة الموت .

الحمد لله وحده
وصلى الله على محمد وآله

تقديم: الدكتور المقرئ المغربي محمد صالح المتنوسي

لأمر ما كانت الوصاة النبوية ثلاثا بالأم، ولأمر ما كان للعظماء في تاريخنا الإسلامي الحافل -علماء ومجاهدين- مدد يمدهم من أمهاتهم تربية وتنشئة وتعليما وشحذا لهممهم...

فهذا عبد الله بن الزبير بن العوام، وما نفثت به أمه أسماء بنت الصديق في وجهه -غداة حصار الحجاج له بمكة- من نفثات غر، تذهب عن مستمعها العر، ربطت بها جأشه، وثبّتت قدمه حتى استشهد صابرا محتسبا...

وهذه الخنساء بنت تماضر، وخبرها مع بنيها الأربعة الذين استشهدوا في معركة القادسية، وحثّها لهم على الصبر في الحرب، وشحذ هممهم، وتحريضهم على الدفاع عن بيضة الإسلام...

وهذا سفيان الثوري، وقالة أمه له: اطلب العلم يا بني! و أنا أكفيك بمغزلي...

وهذا مالك بن أنس، وقد كان يعجبه في حداثته المغنيون، وكاد أن يميل إليهم وينتظم في سمطهم، لولا أن من الله عليه

بأمه العاقلة السيدة عالية بنت شريك؛ فكانت تصده عنهم، وتوجهه للفقه والحديث حتى وصل ما وصل...

وهذا محمد الفاتح الذي ما فتئت أمه تشجعه، وتذكي نار قلبه، وتعده الموعدة الكبرى بفتح القسطنطينية حتى تم له ذاك...

ولن نعدم في تاريخنا المجيد -إذا أردت التمثيل والعد- مثل هذه النماذج الكثيرة الطيبة، حتى يطم عليك ذلك، فاربأ على نفسك، واسأل العادّين.

وقد كان من أمر الله وقدره أن اختار لجواره الوالدة الكريمة أم أخي الأستاذ توفيق الغدويني يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وأربع مئة وألف للهجرة النبوية، موافقا الثالث العشر من الشهر الثالث سنة سبع عشرة وألفين من الميلاد، وحضرنا الصلاة عليها ودفنها رحمها الله وغفر لها، وبعد انقضاء أيام العزاء، سنح لأخي توفيق أن يكتب كل يوم كلمة عن أمه رحمها الله، في موا قع التواصل الاجتماعي، وكان يرسل لي في أحايين كثيرة ما يكتبه، حتى انصرم حول كريت، وكأنه ناظر قول لبيد لابنتيه:

فقوما، فقولا بالذي قد علمتما * ولا تخمشا وجها، ولا تحلقا شعر

وقولا هو المرء الذي لا خليله * أضاع، ولا خان الصديق ولا غدر

إلى الحول، ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

وقد اعتذر توفيق عن نفسه و أبيه وإخوته جميعا بما كتب عن أمه، وما أحسبها إلا مبتهجة راضية عنه في قبرها، كما كانت ترضى عنه في الدنيا وتبتهج للقائه ومجالسته ملظة به...

ثم نشط توفيق فجمع ما كتبه في هذا الحول، ورتبه وشذبه ورغب في إخراجه للناس ونشره، ودفعه إلي لأكتب له تقدمة لست في مقامها، وبقي عندي ما ينيف على السنة و أنا أمنّي النفس بكتابة شيء فلا يتيسر، حتى هلّ هلال رمضان سنة ألف وأربع مئة وثلاث، فانطلقت في الكتابة كأنما نشطت من عقال، و أتم أخي توفيق عليّ حفظ القرآن، فأحسست كأن الله -جل في علاه- قد أخّر إخراج هذا الكتيّب حتى تكتمل الفرحتان، ويجتمع لأخي توفيق الخدمتان، فقد خدم أمه وبرها أولا بما كتب، ثم برها وخدمها بحفظه القرآن، وإهدائها التاج الموعود يوم القيامة، وهذه أكبر من أختها...

وسيجد القارئ في هذا الكتيب أفانين مختلفة، خرجت من كاتبها عفو الخاطر دون كد أو إعمال روية، وذاك سرها الذي كسبها رونقا وصفاء وصدقا، فهي ذوب فؤاد، والمحرك لها حاضر، وليست الثكلى كالمستأجرة...

وقد عرفنا أم أخينا توفيق -رحمها الله- فما علمنا عنها إلا خيرا، من امرأة عابدة زاهدة غافلة، لا هم لها في هذه الحياة

إلا رضى ربها، ورضى زوجها، وأنعم بهما وأكرم من خلتين، دونهما باب الجنة بأقل كلفة، وأدنى عمل، وتالله إنهما لسهلتان يسيرتان على من يسرهما الله عليها، ممتنعتان على من حرمت التوفيق، وأعطت عقلها ونفسها لمسترجلات العصر ونواشزه، المستأسدات على أزواجهن، المستغزلات على غيرهم، فحرمن التوفيق والسعادة، وإن قرأن القرآن، وحفظن المتون، وحضرن للدورات العلمية، فذهبن يفتشن عن الآخرة ودرجاتها، وهي منهن على طرف الثمام...

اللهم اغفر لأمنا، واكتبها عندك من الصالحات القانتات العابدات، وأسبغ عليها حلل الكرامة والرضوان، وبوئها مبوأ الصالحين الأبرار، اللهم ارحم غربتها، اللهم ءانس وحشتها، اللهم أنر قبرها، اللهم اربط على قلب زوجها الحاج أحمد الغدويني، وعلى قلوب أبنائها وذويها، اللهم ارفع درجتها في المهديين، واخلف في عقبها في الغابرين.

وصل اللهم وسلم على عبدك وحبيبك سيدنا محمد، وعلى ءاله الطيبين الطاهرين الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيرا، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وعلى صحبه الأكرمين تسليما.

وكتب الفقير العاجز محمد صالح بن عمر المتنوسي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم: الدكتور عبدالوهاب بن محمد علي بن إلياس العدواني القيسي الموصلي

الأستاذ المتمرس في "جامعة الموصل"

على غير توقع فجأني الصديق الكريم "توفيق الغدويني" مساء يوم: (13/ تموز/2020) بتحية رقيقة طيبة، مشفوعة بقوله:

((لي طلب لو تتكرمون، بعد وفاة "أمي" كتبت خواطر، أحكي فيها لوعة فراقها، وعزمت أن أطبع هذه الخواطر، فلو تتكرمون بتشريف هذا "الكتاب"، بتقديم منكم - جزاكم الله خيرا.))

فلم لم أملك في اللحظة غير الجواب بقولي:

((وعليكم السلام

ورحم الله تعالى الوالدة الكريمة

وهذا يشرفني، فأرسلوا لي نص " الخواطر او الكتاب - pdf؛ - ان أمكن، و اقترحوا علي أفكارا، انطلق منها، وحددوا سعة للمكتوب، ووقتا للإنجاز.. والله تعالى الموفق .))

وما هذه "الإجابة" إلا لسابق ود قديم ما ذوى، وما انقطع للصديق المذكور، مذ عرفته في يوم من أيام سنة "2014"،

وهذا ما سأجعله "مفردة سياقية" في تحرير هذا "التقديم"، أحكي فيها حالة ذلك "الود"، وكيف نشأ، وكيف تطور، وما كانت معطياته الإنسانية والعلمية، التي جعلت أخانا "توفيقا" يتجه صوبي لإنشاء هذا "التقديم" لكتابه الروحي عن "والدته" المتوفاة - رحمها مولاها، ورفع منزلتها إليها بضراعات ولدها من أجلها، وبكتاباته الجمة عنها، وهي - كما أخبرني - لاحقا - كثيرة، وقال: (.. هل أصورها كلها، أم بعضها فقط، فهي "354" خاطرة)، فرأيت في نفسي أن تصويرها صعب عليه جدا، فكتبت قولي:

((في النهار سأحاول الاطلاع والقراءة - إن شاء الله، فاكتب المقدمة والخاتمة، وإذا كانت لديك "تقسيمات"؛ فانفعني بها))، فقال:

((لا لم أقسمها، جعلت كل يوم بخاطرة))

فقلت:

((سأكتب بعد القراءة في حدود صفحتين أو ثلاث، وأريد "العنوان" الذي في ذهنك))

فقال: <((أنا وأمي))>

فكتبت قولي:

((السلام عليكم.. أخانا الفاضل

لقد بدأت بقراءة كلماتك بأناة، ولكون "الماسنجر" لا يتسع لكتابة مطولة دفعة واحدة، فانا سأكتب لك "التقديم" منجما. وأرسله منجما قطعة قطعة برقمها، وما عليك الا جمع "القطع" أولا بأول لديك؛ فيستقيم نص "التقديم" في النهاية عندك - إن شاء الله - بتمامه قطعة كاملة، وسيكون في مطلعه تاريخيا، وفي نهايته وصفيا وتحليليا بحدود ما بين يدي من نصوصك؛ بوصفها ممثلة لغيرها، مما لم اطلع عليه، وسنأخذ في هذا "المنهج" في الكتابة والتواصل ربما أسبوعا او أسبوعين من أول الشروع بالإرسال.. والله الموفق))

فأجاب بقوله:

((شكر الله لكم - شيخي الفاضل - على هذا الاعتناء العظيم، سأعمل على "النهج" الذي تفضلتم به)).

وسأقف - هنا - عند قوله: (شيخي الفاضل)؛ لألقى عليه قليلا من "الضوء" في هذا المقام.

وما سر هذه "المشيخة الفاضلة" التي يتجمل بها الرجل المغربي الذي لم يلق الرجل المشرقي البتة، وما بينهما على الأرض وفي الفلك ما بين "المشرق والمغرب" حقا، وقد يقع في

ظن الظان: أن الأمر لا يعدو أن يكون من نحو ما شاع في آفاق ما يوصف بأنه "الفضاء الأزرق" من تبادل "الألقاب والمجاملات" بين الناس، ومنها ما يبعد إلى ما بعد حدود المعقول والمقبول، وما ذلك إلا من خيالاتهم المقربة للمسافات، لا من حقائقهم المبعدة لها على الأرض والجغرافيا الطبيعية، و أقول - هنا: إنني قد عرفت أخانا "توفيق الغدويني" على "الفيسبوك" في سنة "2014"، وكان ذلك في نهاياتها، في وقت كنت فيه في حومة تشكيل "صداقاتي الإلكترونية مع الناس بطريقتي الإنسانية ومقاييسي العلمية"، وأحسبه من "1000" الأولين الذين دخلوا في "مجموعتي" منهم؛ لخصائص وجدتها في شخصيته، وأنا أتابع "منشوراته العلمية" اليومية، اللواتي مثلته لي رجلا مفكرا من "أهل العلم"، يحسن اختيار ما يكتب فيه من "الموضوعات"، ويحسن" تصنيفها " في" مسلسلات يومية" من قبيل: (إطلالة الصباح // رنين الليل // مما أحزنني)، وكان هذا منه قبل خروجه من "الفضاء" في مجرى سنة "2015"، وكان فيه بكنية ولقب: (أبي أمامة المالكي)، وقبل عودته إليه في سنة "2020" بوصف: (جار القاضي عياض)، لتكون منه كتابات جديدة في أطر: (بين السوق والجامعة // علمتني الجامعة // نظرات أصولية)، وهو يكتب في أوانه الأخير كتابة تاريخية سيرية نفيسة بعنوان: (اليم الفياض في ترجمة أساتذة جامعة

القاضي عياض)، وهم الأساتذة الذين تلمذ لهم فيها في دراسته لتخصص "العلوم الإسلامية".

والحاصل: أنه لو جمع ما كتبه في مرحلتيه الإلكترونيتين الأولى والثانية، وقام بتحقيق متونه، وتدقيق صياغاته؛ لنجمت لديه منه " كتب طريفة"، يصح أن توصف بأنها من محاسن "معطيات الفيسبوك"؛ هذا الفضاء العجيب الذي جمع بين "الأضداد"، أعني: بين البناة المتعلمين المعلمين، والهفاة الجهلاء العابثين المخربين، ومن نتاج الفرقة الأولى - على سبيل المثال: كتاب: (وأنطقني الفيسبك) لصديقنا البغدادي الدكتور المهندس "فراس عبدالرزاق السوداني"، وكتاب الباحث الشامي الشاعر الدكتور الطبيب حسان أحمد قمحية: (الفيس بوك تحت المجهر)، ولو لم يدخل الصديق الغدويني في "الفضاء" المذكور واضح الرؤية، باصرا بصيرا في ما يأخذ وما يدع، شجاع الفكر والقلم، ويبدأ "تجربة الكتابة والنشر"، ويحسن لفت قرائه إليه بموضوعاته المتنوعة الغنية بالفوائد لما وجد له من يتابعه بدأب، فتتشكل له علاقاته المعرفية مع نظرائه في "العلوم" التي يشتغل بها ويشتغلون من مغاربة ومشارقة وغيرهم، وتكون له "نخبة"، يتابعهم ويتابعونه متابعات يومية دائبة، كما كنت افعل معه في كل صباح من نهارات مرحلته الأولى، وما كان من عادتي مرور عابر أدل عليه ب"النقرة الإلكترونية"، التي لا أرى

لها أية جدوى إلا بالإشعار بأنني "مررت بالمنشور"، مما يعبر عنه المفسبكون بمصطلح "التفاعل"، وما أفرغ هذا "التفاعل" من القيمة إذا خلا من "الكلمة المكتوبة" النافعة على أي مستوى من المستويات، وحين تأتي من الميسر لما خلق له من طبع وقدرة ووعي وعلم؛ فأسمع بها و أبصر، لأنها مكسب من مكاسب التواصل الاجتماعي بين أرباب الفكر والقلم والتثاقف البناء، وهم يأتلفون ويختلفون بحسب طبائعهم ومبادئهم ومنطلقاتهم وأهدافهم، ومن أمثلة "المتابعات المثمرة" بين الأصدقاء ما نراه في الصفحتين "34 و 68" اللتين جرى التعاطي بين فراس السوداني وتوفيق الغدويني في كتاب أولهما: (و أنطقني الفيسبك)؛ فقد وصف الرجل "أسفاره"؛ فكتب الغدويني قوله: "المنهج السوي في أسفار شيخنا فراس الأبي"، وحين وجده يتكلم في "حكمة اختيار الأمكنة" علق بقوله: "كن في المكان الذي يجب أن تكون فيه، وفي الوقت المناسب؛ تلك هي الحكمة ".

وقد وجد توفيق الغدويني من الذين تبادل معهم" الصداقات المثمرة" من يراه في نفسه بمثابة "الشيخ" بحكم السن والمعرفة، وليس هذا الأمر بالغريب؛ لأن فضاء "الفسبوك" ممتلئ بالراجحين الأخيار من أهل العلم، وإن قابلتهم فيه الكثرة الكارثة من الأخرين الذين لا يعنيني من وصف أحوالهم المعاكسة أي شيء، ومن الأمثلة على ما أشرت إليه من أمر "المشيخة " ما قرأته في يوم من أيام

سنة "2015" عما جرى بين "توفيق" وصديقنا المشترك الشامي الدكتور أبي رضوان محمود بن عبدالرزاق الغوثاني، الأستاذ في "كلية الإلهيات" في "جامعة موش ألب أرسلان" التركية الذي أجازه بمتن "الأربعين النووية" من الحديث الشريف للإمام النووي - رحمه الله - بعد قراءته للمتن المذكور عليه قراءة فضائية إلكترونية، تحقق فيها الضبط والسلامة؛ وصولا إلى استحقاق "الإجارة" به على طريقة السلف الصالح في منح" الإجازات العلمية " بمتون العلوم، فبدا لي أن أعضد تلكم "الإجازة " من جهتي بأختها تكريما له، بعد أن قويت صلتي به، حتى صرت من القراء المهتمين بكتاباته، المواظبين على متابعتها اليومية - كما أسلفت، بدعوة من جهته، أو بعادة من جهتي، وحدث منه: أن طلب " الإجازة بالأربعين" مني أيضا، فلم أتردد، بل بادرت بالكتابة إليه بخط "يدي" قولي الآتي:

أحمد ربي الله - عز وجل- حمد الشاكرين، وأصلي وأسلم على نبيه الأمين؛ سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فأقول: أنا الفقير إلى فضل ربه عبدالوهاب بن محمد علي بن إلياس العدواني الموصلي، لطف الله - تعالى- بي في الدارين: كنت ابن اثنتي عشرة سنة حين حضرت مع والدي

الشيخ الأزهري - رحمه الله - مجلس شيخه عبدالغفور بن خضر الحبار الموصلي ليمنحه و ابن عمته نعمان بن حسين المولى "الإجازة العلمية في المنقول والمعقول" عن مشيخته الموصلية كابرا عن كابر، ومنها: (علم الحديث الشريف) إلى سيدنا محمد - صلى عليه مولاه وسلم، وهي "الإجازة" التي منحنيها الوالد - رحمه الله - قبل عشرين سنة بالضبط، وكنت ابن أربع عشرة سنة يوم شرعت بقراءة "الأربعين النووية" للإمام يحيى بن شرف بن مري النووي المتوفى سنة (٦٣١ هج) على الوالد قراءة حفظ وشرح، فلما انتهينا بعد شهور قال لي: (أجزتك بروايتها وتدريسها والإجازة بها)، ولم أفعل خيفة وتحرزا، و انشغالا بعملي العلمي في الجامعة، وقبلها وبعدها مدة "سبع وأربعين" سنة قبل اليوم، و أقول في هذا اليوم:

إن أخي في الله والعلم أبا أمامة "توفيقا بن أحمد" الغدويني المالكي المغربي المراكشي قد طلب مني علنا "الإجازة" بها؛ وقد علمت وقرأت أن شيخه الشامي الدكتور "محمود عبدالرزاق غوثاني"- حفظه الله، ونفع به - قد أجازه وزوجته وأولاده بها، بعد قراءة وضبط و إيصاء بأدب العلم ونفع الناس ولزوم التقوى والصلاح؛ وتعويلا مني على هذا الذي ذكرته من القراءة والضبط والإجازة فقد طابت النفس بإجابة طلبه الجميل، ومنحه الإجازة ب" الأربعين حديثا النووية " على سنن

أهل العلم، كما أوصاه شيخه، وبه أجدد الوصية أيضا، وألتمس منه حسن ذكرنا بالخير والدعاء، حفظه الله - تعالى - ورعاه . // كتبت هذا بيدي: يوم الجمعة (٣ / شوال / ١٤٣٦ هج - ٢٢ / مايس أو مايو / ٢٠١٥) في استنبول؛ أنا الأستاذ المتمرس في "جامعة الموصل" عبد الوهاب محمد علي العدواني الموصلي، والله - تعالى- ولي التوفيق)).

وقد ثبت لدي بعد مساءلتي الحديثة له: أن متون "الأربعين حديثا النووية" التي أجيز بها قبل "خمس" سنوات من جهتينا الغوثانية والعدوانية مستوعبة في خزينه العلمي، فقد أخبرني في "رسالة" بأن لديه "إجازات حديثية" بصحيحي الإمامين "البخاري ومسلم" سماعا وشرحا من شيخه المغربي "لصيف عبدالرحيم"، وهو شيخه في علوم النحو والتفسير والأصول، وله شيوخ آخرون في الحديث والعقيدة والبلاغة، ومنهم سائر أساتذته في دراسة "العلوم الإسلامية" في "جامعة القاضي عياض"، ومن أدبه الرفيع مع "مشيخته" بعامة: الإقرار لهم بالنفع جهارا؛ كما أسلفنا الإشارة إلى عمله الإلكتروني: (اليم الفياض ..) بالترجمة لهم واحدا واحدا.

وأذكر من تاريخي العلمي الأول معه في "المرحلة الأولى" من حضوره الإلكتروني ما كنت أكتبه على منشوراته من مسلسلي: (إطلالة الصباح / و/ رنين الليل) من "الأشعار" في موضوعات

ما يكتب، وما أظن أنني قد كتبت أقل من "30" قطعة شعرية، لو جمعتها لكانت لي منها "مجموعة شعرية"، تستقل عن سائر "شعري" بعنوان افتراضي خاص؛ من قبيل هذه "المصنوعة العنوانية" على طرائق السلف: (الكلمات الشعرية العدوانية على الكتابات الفكرية التوفيقية الغدوينية)، ومن أمثلة تلك "الكلمات" ما جددت نشره قبل أيام بالتركيب المنهجية الآتية:

- محاسن - التذكار
- أوراق - مادح - الرحمن

دعاء - البنتين:

أمامة الغدوينية المغربية التي نشر والدها وصديقنا توفيق بن أحمد المالكي الغدويني دعاءها: (اللهم استجب كل دعاء خير، دعا به مسلم من المسلمين) فأحببت أن أنوب عن ابنتي أمامة العدوانية الموصلية بقولي: من - شعري - القديم 10 / تموز/ 2015 مع -توقيعة -جديدة

وكـذا أمامـة عنـدنا ودعاؤهـا
يجـري ويجـري ناعمـا مـن قلبهـا
فطرت عليه فما يجف لسانها
أبـــدا وفيـــه هدايـــة منربهـــا
و أنـــا علـى بعـــد أراه ضـــياءها

فيهـا وأسـعد أن يكـون بـدأبها
حتى تعـيش معاشـها لا تلتـوي
والخيـررأس رجائهـا فـي دربهـا
كم في دعـاء البنت ما يحلو لمن
يرجـو لهـا أن تسـتقيم لربهـا

توقيعات - شعرية 10 **/ تموز /** 2020

وهذا "المنشور" يمثل مراجعات الدائب لما كنت قد تفاعلت به مع "الأصدقاء" شعرا خلال السنوات "السبع" الخالية من حياتي الإلكترونية، ولتوفيق الغدويني حظ كبير منها، وهو ما جعله يتجه إلي بطلب "التقديم" لكتابه: ((أنا وأمي)).

وقبل الدخول في هذا "الغرض" أختم بقولي:

و أقول في البدء: إنني كنت قد أسيت أسى عميقا يوم قرأت ما كتبه أخونا توفيق الغدويني في يوم من أيام سنة "2015"؛ إعلاما لقرائه بنيته على مغادرة فضاء "الفيسبك"، وأحسست بأن نيته تلك ستجعلنا نخسر كاتبا واعيا، ومفيدا، ومتنوعا، يحسن المداخل والمخارج وطرائق المعالجات لما يكتب، وبقيت بعد مغادرته أفرح كلما وجدت "منشورا " من منشوراتنا القديمة المشتركة، يخرجه أحد القراء من "جبّ الفيس"؛ كالسيارة الذين أخرجوا "يوسفا الصديق - عليه

السلام" من جبه، ولا مشاحة في هذا التشبيه، وحين يقع نظري على نص ذلك "المنشور" أجدني أحتفي به، وأعيد طباعته، وأراجع ما لي في سياقه من "الشعر"، الذي أشرت إلى كثرته - آنفا، كما فعلت في منشور "دعاء البنتين" السابق الذكر، ومثله ما أجريته في المنشور الآتي:

محاسن - التدكار
مقتضى - مقال
في - طلب - العلم - وعمل - التجارة
من - شعري - القديم 21 /حزيران / 2015
مع - توقيعة - جديدة

في اليوم المذكور تاريخه نشر صديقنا المغربي أبو أمامة توفيق بن أحمد الغدويني المالكي "فديو" من محل عمله بمراكش في "تجارة بيع الملابس النسائية الوطنية"، وهو طالب علم شرعي ولغوي، وخريج " كلية الدراسات الإسلامية" في "جامعة القاضي عياض"، وإذ قد أعجبني جمعه بين "العلم والتجارة "؛ فقد كتبت له قولي:

جميـل أن تكـون كمـا رأينـا * ومنـك العلـم تعطفـه علينـا
وتبقـى في الطريـق إلى معـال * تجـلّ بهـا الحيـاة إذا التقبنـا
ففي شـغل التجـارة ثـمّ كسـب * حـلال كـالعلوم ومـا اجتلينـا

فكـن هـذا ومـا يـألوك لـوم * كفـاك المجـد مكذبـة ومينـا

لأن الصـــنعتين و أنـــت فـــرد * إذا حققـــت أكسبتـــاك زينـــا

توقيعات - شعرية 21 / حزيران / 2020

وكان مني هذا "الاعتناء بالنصوص، والتجديد المنسق لنشرها" حين ابتدعت لنفسي منهج كتابة "التوقيعات الشعرية" على كل منشور قديم؛ يظهر لي، وهي "أبيات مفردة" أكتبها تعليقا على "النصوص الشعرية القديمة" بما يماهيها في الوزن والقافية، ويتصل بمتونها صلة معنوية، لا تخفى على التأمل.

وقد قابلت أساي العميق على خروج أخينا توفيق من "الفيس" قديما فرحة جديدة بعودته إليه في سنتنا الحاضرة "2020" بعد "خمس" سنوات؛ وقد أكد لي هذه " المدة" حين سألته عنها قبل شروعي بهذه الكتابة، وقد جعل عودته بعنوان: (جار القاضي عياض)؛ كما قلت في موضع سابق، وللدلالة على" فرحتي" بعودته أهديت إليه في يوم: (7 / نيسان - أبريل/ 2020) "نسخة" من منشور كبير من "منشوراتي"؛ بعنوان: (ديوان الشعبانيات الثلاث)؛ بأصوله الشعرية، وبالملحقات به، وجعلته في نفسي بمثابة ترحيب به، وتجديد للود القديم، وإدامة له؛ وذلك حين أصبح جمع "الأشباه والنظائر من موضوعاتي الشعرية" منهجا من مناهج تحقيقي

لأشعاري القديمة، وكتابة "توقيعاتي الشعرية الجديدة" عليها، وقد سرني منه ما فهمه من "قصدي" بإرسال المنشور إليه، فتقبله مني قبولا حسنا، ورد عليه بعمل نفيس مركب، جمع فيه بين "صورة إجازتي القديمة له بالأربعين النووية - مكتوبة بخط يدي" وبين "قراءة فديوية بصوته" لأحد "القصائد الشعبانية الثلاث"، مقدما لهما برسالة "تصدير"، كتب فيها قوله: في يوم: (الأثنين- 2/شوال/1441<> 25 / أيار/2020):

((رذاذ من مزن العلماء))

((من أعلى فوائد هذا "الفيسبك" أن تلتقي بعلماء أجلاء، فيبسط الله لك يد النعمة أن تكون منهم بعناية، فتسعد بذاك، وإن كثرت عليك هموم الدنيا، فتجد في هذا "التواصل" ريا لطينتك التي جفت بكثرة الذنوب، ومن "العلماء" الذين منّ الله علي بالتواصل معهم سيدي الشيخ عالم اللغة العربية، وفارسها " الشاعر الفذ أ.د عبد الوهاب العدواني))

فكتبت قولي جوابا له:

ويجمل فيه القول لا عن تكبر

بما قال لكن للذي ما يؤرّخ

توقيعات - شعرية

وعقبت بقولي: (كتبت هذا "البيت" في من تسمّى في "الفيس" بثلاث إشارات - مذ عرفته في فضائه قبل "6"سنوات، وكان فيه "ثلثها" الأول، وخرج..، ثم عاد، وهو مراكشي من طلاب التفسير والحديث والفقه والعربية؛ وكنيته واسمه ونسبته: "أبو أمامة توفيق بن أحمد الغدويني المالكي"، مع كلام قصير آخر، ختمته بما كنت قد كتبته قديما في يوم: (25 / أيار - مارس / 2015) مصورا فيه العلاقة الرابطة بيننا، ثم أخرجته جدا في المنشور الآتي:

في مملكة العلم

مع - توقيعة - جديدة

أن يلتقي الرجلان.. تلك فضيلة
لله فيها الوهب.. والتوفيق
هو مالك الرجلين.. حين هداهما
للعلم.. ذاك المعدن المرموق
والعلم جامعة الحياة.. ونبضها
والزهر.. والنفحات.. والتوريق
وإذا عجبت لنبتتين.. ووحدة

فـي الإســم واللقبــين ذا ترقيــق
هـو فضـل ربـك أن تكـون "أمامـة"
ســـلكا.. ولا خلّـــف ولا تلفيـــق
بـل محـض هـدي في الغيـوب.. كأنـه
و انـــا و انـــت وكســـبنا التحقيـــق
فاسـعد بـه فلقـد سـعدت.. لأننـي
والله للمـــــثلات بـــــي تصـــــديق
ومـــن الأواصـــر مـــا يكـــون تناميـــا
نســـبا بـــه الأرواح جـــدّ تـــروق

توقيعات- شعرية 25 **/ أيار /** 2020

وقصدت ما كان قد أشعرني به في يوم من الأيام القديمة من كون "إبنتينا": (أمامتين) بالتطابق، وكون "نسبتينا": (الغدويني/ و/ العدو اني) بالتقارب - أيضا، فأعجب و أبصر بهذه "الروحانية" في التفكير- وفقه مولاه، وفتح له.

ومن تمام أدب "توفيق" أنه يسعد نفسه بالاعتراف لك حين يراك تعطيه من روحك ومن معرفته شيئا طيبا، فقد كتب إلي قوله؛ و أنا اقترب من الدخول في الكلام على كتابه: "أنا وأمي": (سبحان الله، وجدت لمكتوبتك علقة بكتابات

الأقدمين، فقد سرت سيرهم، وقد أطربني كثيرا هذا النهج، وكأني أقرأ كتابا أدبيا للأفذاذ الأولين.).

فأجبت بقولي: (وهل صرنا إلا بهم).

فقال: (تماما تماما، أنتم امتداد لهم).

وكان قد قال سابقا- حين سألته عن "دراساته، وشهاداته، وإجازاته العلمية "- بعد ان سمى أسماء "مشيخته المغربية " في النحو والبلاغة، والتفسير والحديث، والفقه والأصول، والعقيدة: (وهل أنا إلا ثمرة من ثمار مشايخ، نلت منهم أدبا وعلما، وأنتم من هؤلاء الجبال، الذين حزت شرف الأخذ عنهم، وإن لم يكن اللقاء المادي قد تحقق، فالأرواح منكم ما اكتسبته، لوسع روحكم الطيبة، وعلمكم العظيم).

وقد قرأت "كلامه" هذا في موضعه، ولم أعلق عليه بشيء، بل احتفظت منه بدلالته في سري، لأثبته - هنا، بعد إثباتي لمجرى "الحوار الصغير"؛ لأفهم القارىء منهما مجتمعين: أن "توفيقا الغدويني" على وعي ثقافي كبير، يمكنه من معرفة الفرق بي "الدر والمخشلب من الأحجار الكريمة"، وما "المعارف والثقافات" على اختلافها إلا أحجار لها من يحسن الفرق بين "الأصيل والشبيه" منها، وحين يكون "طالب العلم- كتوفيق"؛ فليس غريبا منه أن يقول "كلمته" السابقة في " مكتوبتي" كما

سماها له، وهي "مكتوبة" تمثلني بصدق في التفكير والمنهج والعبارة، وستمثلني - إن شاء الله - حين أكتب في تمثل "الخواطر الثلاثين" من كتابه: ((أنا وأمي))، من "المجموع الكبير" المودع فيه من "الخواطر"؛ اللواتي أتصور: أنها لم تحذ على "مثال سابق"، كان توفيق قد قرأه، فبدا له أن يضارعه في هذا "المجرى" من كتابته الروحية، التي أراد أن تكون "مرآة" لعواطفه المتوقدة به حالة "الفقد" المرير لوالدته، وكنت قد سألته الأسئلة الآتية:

- ♣ متى توفيت الوالدة.
- ♣ متى بدأت بكتابة "الخواطر"،
- ♣ كم استغرقت في عملية "الكتابة".
- ♣ ما عدد "الخواطر".

وكان طلبي لأجوبة هذه "الأسئلة" حاجة منهجية؛ لا مندوحة عنها في تحرير هذا "التقديم" للكتاب الذي سيخرجه كاتبه للناس بالهيئة الفنية شكلا ومضمونا، ولو لم أسأل ما سألت؛ لما جاء "تقديمي" له بذي قيمة، لأنني لم أقمه على أصول ومعلومات واستنطاقات لازمة من فكر "الكاتب" وقلمه؛ وإلا فكيف كنت أعلم متى توفيت "الوالدة" المؤلف عنه أو معها "الكتاب" قد توفيت في يوم: (13/ 3/2018)، وأن "الكتابة" قد

بدأت وشيكة في يوم: (3/21)، واستغرقت: (354) يوما، وهذا "العدد" هو عدد "الخواطر" كلها، والمعنى: أن توفيقا كان قد جعل "كتابته": "يومية"، ليأخذ "يومه الواحد" في توليد فكرته، و إنضاجها، قبل الصيرورة بها "نصا محررا" بنية النشر على الناس، وهو بهذا قد عاش "تجربة إبداعية فكرية وعاطفية" في غاية الحيوية والنضج.

ولا يضير من يكلف بكتابة "تقديم" لكتاب من نحو: (أنا وأمي - لتوفيق الغدويني) أن يكون ابتداؤه مشعرا بأنه سيتعامل مع "كتاب" بالغ الخصوصية في "موضوعه"؛ لكونه كتابا في " في "علم الحزن"، ولا يعجبن مني أحد في تصور أن يكون مؤلفه قد اجترح للحزن " كتابا بطريقته الخاصة"، وهي طريقة لا تشبه بحال طريقة مصطفى صادق الر افعي - رحمه الله - في كتابة ما سماه في وقته قبل ما يقرب من"100" سنة: (رسائل الأحزان)؛ لأن تلك "الرسائل" قد ضربت في تخوم "فلسفة الحب والجمال"، وبعبارة أخرى: في تخوم "العشق" الباحث عن "متنفّس إنشائي فني"، يضيفه مكتبته في حقل التأليف الأدبي، وما كتبه توفيق ذو منحى مختلف، يدخل في حقل" الرثاء" الباحث كاتبه عن "متصبّر" له من رزء "مصيبة الموت" - كما سميت في "القرءان الكريم"؛ أعني: في "الآية - 106" من: (سورة المائدة)، أو يتجه بنفاذ قوي في فضاء "الفقد"؛ الذي

حاول الكاتب أن يبحث له عن "معنى"، يقنع به نفسه، وهذا هو ما قرره بقوله في خاطرته "الأولى" يخاطب والدته المتوفاة: ((لم يحيرني، ولم يعجزني أبدا "معنى" من المعاني في بيانه، والإفصاح عنه إلا ذكر معنى: "فقدك"، وفسر انتثاره علي، ولمّ شمل "الكلم" لخبر عمقه، وإدراك حرقته، ولم يتعبني - قط - أسلوب في رشح ما ذاب من الفؤاد قدر "ألمي" في فهم معنى: "فقدك")).

وليس لأحد أن يقول: إن من أعجب العجب: أن يبحث "توفيق" المسلم الذي يؤمن بالقضاء والقدر عن أي معنى لفقد "الوالدة - رحمها الله"؛ ويظهر وكأنه لا يريد من أحد أن يقنعه بوجوب التصديق بحقيقة "موت النفس العظيمة" التي فقدها بغتة، وبنباهة لامعة من "رجل العلم" استحضر لتعزيز "حالته" من الدهشة مصيبة المسلمين بوفاة: (النبي - صلى الله عليه وسلم)؛ وما نقل في كتب "السيرة الشريفة" من موقف عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من تلك "المصيبة"، فكتب خاطرته "الثانية" بقوله: ((وبالمماثلة يظهر "تجلي القياس"، وتفهم "مدارات السياق"، وتلبس "مناطات الأثر" حقيق ومتحقق به إدراك مغزى وكنه وجوهر الأمر، الآن وعيت ما ألم بالخليفة الثاني الفاروق حين فقده لخير الخلق، الآن أدركت الحس بعدم التوقع للفقد، وكيف أنه - رضي الله عنه - قال: (لا يتحدثن

أحدكم بموت النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا قطعت رأسه)؛ هل كل تلك "العظمة" نامت تحت الثرى ؟))، وكأني بتوفيق جعل "سؤاله الأخير" هذا دريئة لنفسه من لوم اللائمين الذين رآهم في خياله مندهشين من قلة صبره، ومن عدم تصديقه القطعي بفقد "الوالدة".

وليس بمقدور كاتب هذه "التقديم" القيام بتحليل كل ما كتبه توفيق في "354" خاطرة في حالة "فقده" لوالدته بالطريقة المبسوطة - آنفا؛ لأن " ما أريد منه أن يكتبه تقديما " لا يتسع إطارا، ولأن "توفيقا" قد بدا في "خواطره" كثير الأسرار، متنوع الأفكار، لا تعجزه العبارة، كما فهمنا من كلامه في "الخاطرة الأولى".

وحين نقرأ قوله في "الخاطرة الثالثة": ((إن الأرواح تألف بعضها وبخاصة إذا انسجمت كل جزئياتها انتظاما في عقد متفرد فريد، فتصطبغ حينئذ بصبغة اللامحدودية، فتتجلى معاني الألفة حتى بين نوعين مختلفين، وأمثاله بين أمي والطير، خيوط الأنس بينكما يا أمي مسلك إدراكه رقيق، لا يلجه إلا المتفردون))؛ سندرك بسهولة أن "(حالة الأديب المنشئ، ذي العبارة والإشارة، والمبنى والمعنى، والشكل والمضمون)" كامنة في نفسه، تعززها معارفه المتنوعة، وتؤججها تجاربه الإنسانية في الأسرة والبيت، والجامع والجامعة، والناس والسوق، والقراءة والكتابة، والورقة

والفضاء الإلكتروني الذي يحقق فيه "حضورا" مرموقا واسعا، متأثرا ومؤثرا في السنوات الخالية.

ويمثل "النزعة الأدبية" التي أشرت إليها في قوله الموجز في "الخاطرة الرابعة": ((خرزات عقدك الأصيل تتعب العاد لعدها كما وكيفا، من هذا الذي لم يذق طعم جودك من الذين عاشروك، نهر عطائك قد طارت بشهرته الركبان، كل الازهار المحتفة به قد ارتوت منه، حديث البخل بعيد عن جولتك، خايف من صولتك))، ويا لهذا "القول" من تصوير أدبي للمرأة المتوفاة بأن "البخل" يخاف من صولتها عليه؛ وهي رقيدة في قبرها، فلنتصور كيف أراد توفيق أن يصور لنا ما كانت عليه والدته من "الكرم" في حياتها، وهذا كله من معطيات امتلاء ضميره بمناقب أمه وشمائلها، ومن تمام بره ووفائه لها، ولذا فقد بدا حريصا على كتابة "الخاطرة" تلو "الخاطرة" للدلالة على ما أشرنا إليه، ومن ذلك ما كتبه في الخاطرة "الخامسة": ((من صدق الحب ألا يترك الحبيب حبيبه، ومن تمام التعلق وثمرته إتمام الطريق؛ وإن تخلف أحد الحبيبين، لا تذوق [وهذا من حديثه السري لنفسه في مجرى الكتابة] لحلاوة الرابط ما لم تكمل السير في طريق كنت أنت وحبيبك المفقود حسا، الحاضر روحا قد وقعتما ميثاق الصبر، رغم وعورة الأمر وصعوبته، إن عهدنا الذي

صغتيه - يا أمي - في أرقى محاسن الأداء، سأعمل على عدم خذلانك فيه، هذا العهد الذي مرتسمه وخلصته: أن يبقى أبناؤك على صورة الاتحاد، لا تفرقهم مشاغل الحياة، ولا يعتور مجلسهم انزعاج - أعدك أمي)) .

وما أعظم هذا "الوعد" من وعد، فهو مشعر بأن "توفيقا" قد ورث "ولاية الأمر" عن والدته في أسرته كلها، ورتّب على نفسه أن يكون صادق الوعد، أمينا وفعّالا في شؤون الولاية التي تسلم مقاليدها الروحية والعملية، ومضى يؤكد قوة ذاته في إنجازه لصدق الوعد لوالدته في أسرتهما بنصوصه اللاحقة التي كتبها إلى آخر "الكتاب".

وما قراءتي لخواطر توفيق إلا الإقبال الواعي إلى "بحيرة من العواطف والكلمات والأفكار والفلسفات" المشبوه لإقبال المتنزه في الطبيعة إلى "البحيرة الكبيرة"؛ أسرارها في أعماقها الوسطى، وجمال ما يرى في بداياتها من كل نواحيها هو المشجع على السباحة إلى تلكم الأسرار في الأعماق، وما سبق من كتابتي على "الخواطر الأربع الأولى" لا تعدو حال الو اقف على حافة "البحيرة التوفيقية"، تغريه بجمال بشجاعة المضي إلى الأعماق، أعني: أعماق "المئة الثانية" من الخواطر، وسأصنع - هنا - نصا واحدا من مجموعة "خواطر"؛ لأتكلم عليه كلاما كليا، يفضل "الكتابة الجزئية" المحتاجة بالضرورة إلى ما يربط بين

"الأجزاء" بما يلزم من صناعة الإنشاء والتأليف، وسأثبت نصوص "الخواطر" بأرقامها في هذه "المعرض" على غير ترتيب:

((156 - يا أمي: الحروف لا تنتهي، والكلمات لا تكفي، والحزن لا ينقضي، والصبر ينفد، والألم ينفذ، والقلب يتصدع، لكن الرجاء لا ينقطع // 153- القريب جدا أعظم عزاء في ميته كونه أفرغ الوسع في بره، وكذلك هو الأعظم ألما // 151 - لا تصبوا الماء البارد على الحديد الحامي، يا أمي: لا يدري من يأمرك بالتوقف عن الحزن بشكل قطعي، أنه لا يفقه في التعزية شيئا، وأنه لا يزيدك إلا اهتياجا، ألا يدري أن الأمر يلزمه التدرج، وهي سنة الله في معظم شأنه، وهو متوقف على وقت لا محالة، وهذا الوقت يقصر أو يطول حسب قوة الارتباط بين الميت وأهله، الحديد الحامي يلزمه وقت، ليس بالهين، كي يبرد، وإلا فصب الماء البارد عليه قد ينتج عنه تشوه // 157 - أين طبق الفاكهة يا أمي، أمس زارتني بنت الدهر [وأراد: الحمى]، فتذكرت طبق الفاكهة البارد الذي كنت تأتينني به، إن أنا مرضت، ولا أستطيع أكل أي شيء، حقيقة: الإبن يحن إلى لمسات أمه، وإن كبرت سنه، وإن وجد عناية من زوجه وبنيه، لكن لمسة الأم تختلف // 158 - صدق المكناسي - يا أمي - إذ جاءني يحكي عن حبه لأبنائه، فقال المثل المشهور: ليس هناك أحلى من لعب الأبناء فوق الفراش، وليس هناك أشد ألما من

حبيب على نعش؛ هو نظر لشطر المثل الأول، وأنا لشطره الثاني، فعلا فليس هناك أشد حرا وألما من رؤية حبيب على نعش.

وقبلت رسم الدار حبا لأهلها * ومن لم يجد إلا صعيدا تيمما

هكذا حالي معك - يا أمي، أتحسس كل ما يمكنه أن يشعرني بك، فالشوق يقطع الفؤاد، فاللهم صبرا))

ومن يمعن النظر في هذه "المنسوقة" من نصوص "الخواطر" يجد فيها وصول "توفيق" إلى أعماق "بحيرة العواطف والنجاوى الروحية والفكرية والقلمية" التي اتصل فيها وبها بوالدته الراحلة - رحمها الله - بعد سباحة أخذت منه "6" شهور من الفكر والكتابة، غالب فيه نفسه بين: (4 /9 / 2018 و 23 / 3)، وحين وصل وجد الحروف والكلمات لا تسعفه لانتهائها ونفادها، لقاء حزن لا ينقضي، وصبر ينفد، وألم ينفذ في الروح، وقلب يتصدع، ولكن الكاتب لا يلقي نفسه على الأرض من العجز والتعب، لبقاء رجائه غير منقطع من قدرته على التواصل مع "الراحلة" بجهد الفكر والقلم، لا بجهد الجسد، وحسبه أن يكون القريب منها جدا، والمفرغ وسعه في برها، والأعظم ألما عليها، وما هذا إلا لكونه [في تقديري] رجل فكر وعلم وقلم، لا يرى له نظيرا بين البقية من الأهل في حالته،

فيزحمه على "المنزلة" المشار إليها، لا بل قد يجد في فضائه من ينهره عن أجيج عواطفه، بعقلانية أن "الحزن بعد ثلاث" شيء لا يصح أن يستمر ويتصعد، لأن الحياة لا بد لها من الاستمرار على منوالها المعتاد، ومضى في نفسه في التصدي لفكرة نهره عن "الحزن" بطريقة من يصب الماء البارد على الحديد الحامي، وكأنه لا يعلم أن هذا الفعل الجاسي سيحدث فيه تشوها وفسادا في الشكل، ويحدث في "روح توفيق ما يشبه ذلك من الفساد والمرض"، وقوي في سره على التصدي لذلك بصلابة الفكروسيولة القلم .

وبدأ يشعر القارئ بإحساسه بأن "الراحلة" رحلت عنه وعنهم مكانيا؛ ولكنها بقيت فيه وحده في كل الأمكنة والأشياء، ومن ذلك- على سبيل المثال: (طبق الفاكهة الباردة)؛ ذاك الذي كانت تقدمه إليه في أوقات شعوره بتلك التي نبزها ابو الطيب المتنبي بأنها "بنت الدهر"، فقال:

أبنت الدهر عندي كل بنت * فكيف وصلت أنت من الزحام

وأراد: "الحمى" التي وصفها في "8" ابيات، مطلعها:

وزائرتي كأن بها حياء * فليس تزور إلا في الظلام

ختمها بالبيت السابق، وقال توفيق ما معناه: أن "طبق الفاكهة الباردة" من يد والدته في ساعات "الحمى" له طعم

مختلف عنه من أيدي "الزوج والأبناء"؛ وهذا شيء في "الحس لا الو اقع"، وهذا كله ناجم عند من جسامة إحساسه بحالة "الفقد"؛ تلك التي تكلم عليها في "نصوصها الأولى"، وهذا هو معنى ما أشرت إليه من وصول توفيق في "نصوصه الوسطى" إلى أعماق "بحيرة العواطف" بعد سباحة "الشهور الستة" من الفكر والكتابة الروحية.

ولا يخفى على القارئ ما في جمع عدد من "الخواطر" في "منسوقة واحدة" من فائدة "الاستلهام الموحد للأفكار" منها بحدود ما يسمح به المقام، وليس في الوسع المضي في تحليل "المنسوقة السابقة" إلى أبعد مما مضيت؛ وأنا أستقبل من خواطر "توفيق" الكثير من أمثالها؛ اكتنازا بالمعاني، وتفجرا بالدلالات، وهو كذلك من أولى "الخواطر" المودة فيه إلى الخاطرة "الخاتمة" له، حتى ليخيل لي: أنني لو تناولت كل ما في "الكتاب" من الخواطر بمقادير "نصوصها" من التحليل؛ لأنشأت "كتابا على الكتاب" نفسه، ولو استطلت أكثر من "أطوال الأصول"؛ لأنشأت "كتابين" في التحليل، في علمي قراءة النصوص والنقد الأدبي، أقول هذا: وفي ذهني" رو اية " قديمة، نقلت إلي مذ اكثر من "50" سنة عن الأستاذ المصري الدكتور "محمد سالم الجرح <أستاذ علم اللغات السامية - رحمه الله > مفادها: أن "المقالة النفيسة والكتاب النفيس"

هما اللذان ينشآن في ذهن القارئ الواعي "مقالة وكتابا من نحويهما " نفاسة وجودة؛ وهذه هي "حالتي" مع كتاب "توفيق" هذا، ولكن "المقام" لا يتسع لأكثر مما كتبت آنفا، وما سأكتب لاحقا - إن شاء الله - في تحليل "نصين" من نصوص "نصف المئة الرابعة" التي كتب منها "54" نصا فقط .

وما كان قد زودني بأي "نص" من نصوص "المئة الثالثة"؛ فطلبت منه "نصين" لا غير؛ يختارها بذوقه، فأرسل قوليه: ((220): موسم الزيتون له ذكراه المحالة بنسائمك - يا ذات العيون الرمادية، تذكرني يوم كنت تحضرين الزيتون؛ ليطيب على أصله، من غير ما استحداث من مواد تسممه، فكنا لا نسعد بتلك الأكلات الأصيلة، ونعرض عنها، فتقولين بروحك المرحة: سيأتي يوم تبحثون عن هذه الجودة بالمال، ولا تجدونها، فنضحك جميعا، رحم الله تلك العناية، وذلك الذوق)).

((228): لا يقبل أحد "أمه" على جهة الإرضاء إلا وجد حلاوة ذلك في قبلات أبنائه)).

فأي "نصين" ما أحسن اختياره، وأرسله، وكأنه يريد أن يعطينا بالأول منهما: دليلا خفيا على صفتي" الصدق والصراحة" في كل ما كتبه، ومنها: صراحة "الاعتراض على الوالدة في ما تحب، ولا يحب هو وإخوته؛ مما يدخل في دائرة "الذوق" بعيدا

عن العصيان والعقوق، ولذا فقد تلقته الوالدة بروح الفكاهة والتندر الجميل، ويعطينا بالثاني: صورة عن "شفافية روحه في تذكار والدته بمعطى خاص من معطيات حياته مع أبنائه في أسرته بعد رحيلها"، وما أكثر ما يمكننا من نستله من أمثلة "اعتراضه المطيع لوالدته/ و/ شفافية روحه معها" في سائر ما كتبه "توفيق" في كتابه من "الخواطر"، فجاءت "دروسا" رفيعة في التربية والتزكية للذات، وللآخر الأقرب والأبعد أيضا .

وسأنتقل - هنا - إلى قطعة "الختام" هذه، وسأجعلها قراءة للخاطرتين " 343 و354" الأخيرتين من خواطر "توفيق" في كتابه، وقد كتب "الثانية" منهما في يوم "2019 / 3/ 16"، بعد "سنة" من يوم البدء بالكتابة، وجاء بها طويلة مكتنزة بأفكار اللوعة والعاطفة والحنين؛ مسبوقة بقوله الموجز في التي قبلها:

((ذهبت - يا أمي - لأزورك، و أنا أحمل نفسي بنفسي إلى الروضة، وقد مات لي من الخواطر موتى، لا ميت واحد، فكنت أمشي وفيّ جنازتك، أحمل بين صدري روحا تبكي. وروحا يبكى عليها، فبعد كل هذا: كيف يقول القائل منهم: وكأنه الوحيد الذي ماتت أمه، يا هذا لا تشابه بين "الأمهات": فع هذا)).

وما أشد هذا "القول" من "توفيق" في تقريع من ينكر عليه عنفوان "مواجده على والدته"، فيخالها: "غلواء"،

وتظاهرا لا موجب للظهور به بين الناس، والموت يدهم الكافة، ويوقع فيهم مصائبهم بالأحبة في كل يوم، ولكن توفيقا لا يأبه بهذا كله؛ وهو يرى "الأم الراحلة" مختلفة عن سائر الأمهات، وهو لا يطغى عليهن، فينقص منهن شيئا من منازلهن ومناقبهن عند ذويهن لحساب والدته، لأن هذا "التصور" ليس من الحق في شيء، وليس من حق أي من الناس أن ينحو عليه باللوم؛ فيراه غاليا في تصوير "عواطفه ومواجده" في التحزن الروحي والأدبي بمثل "النص" السابق البتة.

وحين ننتقل إلى "النص الخاتم" فسنراه "خاتما" حقا بطوله ومضمونه، وهو يعفي "توفيقا" من المطالبة بأن يكتب "خاتمة" لكتاب خواطره، من الذين يتصورون أن "الكتاب - أيا كان" يبقى محتاجا لديهم بحسب "أصول المنهجية العلمية" إلى مقدمة وخاتمة، وهذا صحيح في "التآليف العلمية والرسائل والأطاريح الجامعية" وما شاكل، وكتاب "توفيق" ليس من نحو هذه "الأعمال" في شيء، ومن الرفيع: أن نجد له في "النص الأخير" منهجية سامية واعية، فقد جعله في "مقطعين"، ذكر في آخر "الأول" منهما ما سماه: (البر المسطور / و/ البر المنظور)، وقد وصل إلى هذا "التقسيم" بعد أن بدأ القول في صدر "المقطع " المشار إليه بكلام عاطفي؛ أشبه ما يكون بكلام العاشقين في "رسائل أحزانهم"، تلك التي بهر مصطفى الر افعي

قراء وقته بما كتبه منها، وأشرنا إليه في مجرى هذا "التحليل" المقتصد لكلام توفيق؛ توفيق الذي قال في صدر خاطرته الأخيرة "354":

((أ يعقل - يا أمي- أن حال الحول؛ ولم أقبلك، ولم أتمتع بتلك العيون الرمادية، ولم يسعد قلبي بري من مجلسك، ها هو الزمان يدور كهيئته))، ولم يتوقف، لأن سنن الله - تعالى - لم تقض بأن يقف الزمان لموت أحد، مهما كان عزيزا، وقد سبق الأنبياء والرسل، حتى خاتمهم - صلى عليه مولاه وسلم ((وكنت وعدت الأحبة أن أدع هذه "الكتابات"، فقد قلبت بها المواجع- كما يقولون))، ولكونه لم يكن آبها بما يقولون، ولم يكن سامعا في دوام حزنه على والدته، ودوام كتابته لخواطره فيها وعنها لومة لائم، فقد قضى "عامه" في الكتابة، فلم انتبه، وأوجب على نفسه أن يرعوي، ويكف عن سيرورة "كتابته" على حالها، وقد صور هذه "الانتباهة" بقوله: ((كما قالت أسماء [بنت أبي بكر الصديق] - رضي الله عنها - للحجاج [ابن يوسف الثقفي] في مقتل ابنها [عبدالله بن الزبير]؛ حين علق جثمانه: أما آن لهذا الفارس أن يترجل)).

وقد كتب توفيق بعد هذا "الاستحضار التاريخي" بما يجعل حال إصراره على "الكتابة" خلافا لرغبات الآخرين من أهله؛ كإبقاء جثمان القتيل معلقا أمام أنظار أهله وسائر

الناس، وفي هذا "التنظير" من إبعاد "النجعة" ما فيه؛ مما يجعله ذكيا وقصيا في آن واحد، ولكن توفيقا قد كتبه على أية حال، ليبني عليه قوله: ((سأقول لقلمي: أما آن لهذا المداد أن يجف، إن الحكي عن "الأم" حين فقدها لهو الألم الشديد، وبخاصة: إن عدم الدمع.)) و يتجه توفيق عند هذا "المفصل" من كلامه إلى من سماهم سياقيا: "أهل الأحزان" ليقول لهم: ((هذا الدمع - يا أهل الأحزان - مغاسل، فلا تبخلوا على أنفسكم))؛ وكأنه يحضهم - وهم عذاله ولائموه - على أن يشركوه بإسبال الدمع، فضلا عن تركهم للومه، ولكنه لم ينتظر من هذا الحض على ترك اللوم جدوى كبيرة، ما داموا مختلفين عنه في مجاري انفعالاتهم وأحاسيسهم بفقد "الوالدة"؛ التي انقلب إليه ليقول في هم خاص من هموم ثقافته ومعارفه: ((يا أمي: إن فراق الكتب عنك بعد فراقك أمر مسوق إليه ابنك، هذا الابن الذي يحمل من الثقل ما لا يطيق بهذا الترك، الآن يبدأ "البر المنظور" - يا أمي - بعد أن تقصدت إنهاء "البر المسطور"))، الذي كتب في إبان سنة كاملة، أو تكاد: "353" خاطرة؛ متآقات كالأنية بأمواه العواطف والمواجد والأحزان.

ومن إحسان "توفيق "في" المقطع الثاني" من خاطرته "الأخيرة" ما ختمها به من حيطة وحذر من سهوات فكره وقلمه في موضوع؛ الغلط فيه يمكن أن يمس "عقيدة إيمان المسلم

بالقضاء والقدر" قائلا وناصحا ومتطلعا إلى نفع من يمكنه أن ينفعه بكلامه في "كتابه" الذي استأنى في كتابه، وتواضع في خلاق كتابته له، وأحسن الاعتذار لنفسه فيه بأدب جم، فقال: ((وهذه "كلمات" كتبتها؛ لعل متعظا بحالي، فيتدارك ما فاتني، فنسقى معا بماء الأجر، لعل غصن الإسعاد ينبت بعد ما ذبل، ولعل طريقا يرى بهذه الإنارة، ولعل عاقا يرجع عن عقوقه، ولعل.. ولعل.. ولعل، فاللهم ما كان من ذنب غير مقصود فاغفره لي، وما كان من نفث لحزن قد أفضى بي إلى قول يفهم منه" عدم الرضى بالقدر" فتجاوز عني فيه؛ فلست الذي يعترض قضاءك، ولا يرضى بتقديرك)).

وما أرفع هذه "الكلمة" من كلمة، وما أنفذها إلى غرضها، وما أصفاها من اختلاط الضلالات باليقين، والجهالات بالعقل، وما أعذبها في مناجاة الله -تعالى-بلسان الخائف في ختام كتاب في "علم الحزن الوجل منه - عزوجل- على فقد؛ لم يره كأي فقد في سائر ما كتبه فيه؛ وهو يبطن في سره أنه لا يختلف عن فقود الناس حبة خردل، جاء في يومه، ولم يستقدم، ولم يستأخر، بحسب ما أنبأت به النصوص القرآنية في موضع من الذكر الحكيم، وهذا من التوفيقات الكثيرة للكاتب في ما أنشأه من أول كلمات <كتابه> إلى آخرها؛ روحيا وفكريا وأدبيا ولغويا في بره لوالدته - رحمها الله، وأعلى نزلها لديه، و أبرد

قلب ولديه عليها "، وحسبي أن ألخص كل هذا في الختام بقولي - شعرا:

وسمّي توفيقا.. وصادف مثله

ومن برّه بالأمّ قال: الموفّقا

توقيعات - شعرية

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

كتب هذا في "إستنبول":

الدكتور عبد الوهاب بن محمد علي بن إلياس العدواني القيسي
الموصلي/الأستاذ المتمرس في: (قسم اللغة العربية/كلية الآداب/جامعة الموصل)

الثلاثاء - 7/ ذو الحجة/1441<>28 /تموز/ 2020

أنَا يَا أُمّي...

مصطفى محمد متكل

لَـمْ أَجِـدْ لِلْفِـرَاقِ صَـبْرَ الرِّجَـالِ * لاَ وَلاَ مَنْعَــةَ اللَّيَــالِي الطِّــوَالِ

كُنْـتُ فِي القَـوْمِ لاَ أُبَـالِي بِنَصْـلٍ * مِــنْ زَمَــانِي وَلاَ بِكُــلِّ النِّصَــالِ

لاَ أُبَــالِي بِطَعْنَــةٍ مِــنْ وَرَائِــي * أَوْ أَمَامِي مِنَ السُّيُوفِ الصِّقَالِ

كُـلَّ يَـوْمٍ أَهِـيمُ مِـنْ غَيـْرِ نُـورٍ * تَائِهــاً فِـي غُــرُورِ مَــنْ لاَ يُبَــالِي

كَذَّبَ الْمَوْتُ بَعْدَ فَقْدِكِ صَبْرِي * وَ أَبَــانَ الرَّحِيــلُ عَنّــي ضَــلاَلِي

لَـمْ أَكُـنْ صَـامِداً كَمَـا قَـالَ يَوْمـاً * سَــيّدِي وَالِــدِي عَزِيــزُ المِثَــالِ

أَنَـا يَـا أُمّـي قَـدْ هُزِمْـتُ بِمَـوْتٍ * قَـدْ رَمَـانِي بِجَيْـشِهِ فِي الـدِّحَالِ

أَنَـا يَـا أُمّي أَضْـعَفُ النَّـاسِ قَلْبـاً * أُصْـرَعُ الْيَـوْمَ قَبْـلَ بَـدْءِ النِّـزَالِ

إِنَّنِـي فِي مَتَاهَـةِ الحُـزْنِ وَحْـدِي * أَقْـذِفُ العَقْلَ فِي مَهَاوِي السُّؤَالِ

هَـلْ سَـكَنْتِ الـدِّيَارَ أَمْ كَانَ عُمْـراً * خُلَّباً قَـدْ مَضَى كَطَيْفِ الخَيَالِ؟

هَلْ رَحَلْتِ الْغَدَاةَ أَمْ رَاحَ وَهْمِي * يُرْجِعُ الذِكْرَى مِنْ غَيَابَاتِ حَالِي؟

كُـلُّ شَـيْءٍ هُنَـا يَـدُلُّ عَلَـى لَيْـ * ـلٍ غَرِيـقٍ فِي غَائِبَـاتِ الجَـلاَلِ

هَـــذِهِ سُـــبْحَةٌ... وَهَـــذَا إِزَارٌ * نُسِجَـتْ مِنْـهُ لِلْمَعَـانِي الْمَعَـالِي

هَـذِهِ صُـورَةٌ... تُضِـيءُ كَشَـمْسٍ * ذِكْرَيَـاتٍ مِـنَ السِّـنِينِ الخَـوَالِي

هَـذِهِ بَسْـمَةٌ... عَلَى البَـابِ تُحْيِي * مِـنْ رِضَـاهَا مَـوَاتَ نَفْسِـي وَآلِي

هَـذِهِ أَنْـتِ يَـا حَبِيبَـةَ عُمْـرِي * فِي شُـرُوقِ الجَمَـالِ سِـرُّ الجَمَـالِ

شَـبَحٌ مِنْـكِ لَـمْ يَـزَلْ فِي كِيَـانِي * "بَـابُ أَيْـلاَنَ" شَـاهِدٌ وَاللَّيَـالِي

أَبَـداً مَـا دُفِنْـتِ فِي الْقَبْـرِ يَوْمـاً * أَنْتِ فِي الْقَلْـبِ... أَنْتِ فِي كُلِّ بَالِي

أَنْـتِ فِي زَحْمَـةِ الشُّـرُودِ دَلِيلِـي * أَنْـتِ فِي ظُلْمَـةِ الحَيَـاةِ هِلاَلِـي

فَـانْعَبِي فِي الجِنَـانِ يَـا خَيْـرَ أُمٍّ * مَنْـزِلُ الأُمِّ فِي الفَـرَادِيسِ عَـالِ

أبيات شعرية في رثاء أمي للأستاذ الدكتور:
محمود بن عبد الرزاق الغوثاني أستاذ اللغة العربية وآدابها في
جامعة كوجالي التركية.

أقــول وفـي عينــي دمــع مــؤرق
على وجنتي قـد سـال ثمـة أوجعـا
لقــد كنــت يــا أمــاه ملجــأ حبنــا
ومــأوى أمانينــا التــي نبتغـي معــا
وكنــا إذا مــا الخطــب أم قلوبنــا
لجأنـا إلى قلـب مـن الحـب أترعـا
وكنــت تحبــين الجميــع تكرمــا
ولكـن سـهم المـوت قـد كـان أسـرعا
محيــاك لا ينفــك يــأتي لبابنــا
فيؤنســنا طــورا ونبكيــك أجمعــا
لــك الله في الأخــرى نصــير وغــافر
ونرجـوه في الجنـات أن نلتقـي معـا
بجانـب خيـر الخلـق شـافعنا الـذي
عليــه إلــه الكــون صــلى وأســمعا
عليــه صــلاة الله فـي كــل حالــة
وطـوبى لمـن في دربـه الحـب أودعـا

أبيات شعرية للأستاذ السعودي جمعان الجدعاني
أستاذ اللغة العربية بالمملكة العربية السعودية.

توفيــق يبكــي والمــدى وزمــان * والبيــت يبكــي أثــره جــدران

ما عاد يسمع صوتها ذاك الشجي * نبــع الحنــان فقدتــه وكيــان

أمــي التــي دمــع العيــون ذرفتــه * والقلــب منفطــر لــه شجــان

والله مــا فقــد لمــال أو قنــا * أو جــاه عــز ساســه أزمــان

أن الفقيــدة في المــدى أم غــدت * بــاب لجنــات علــت وضــمان

ماتــت ومــا مــات الحنــين لرؤيــة * علــي أراهــا لاحقــا منــان

ربــي ألا ارحــم عظــام أســكنت * قبــرا عســاه رويضــة حنــان

واختــم لنــا حســنا بــآخر عمرنــا * كــي نرتقــي قربــا لهــا ومكــان

ربــي ســؤالي للأميمــة جنــة * فــردوس تســكن قصــرها رحمــن

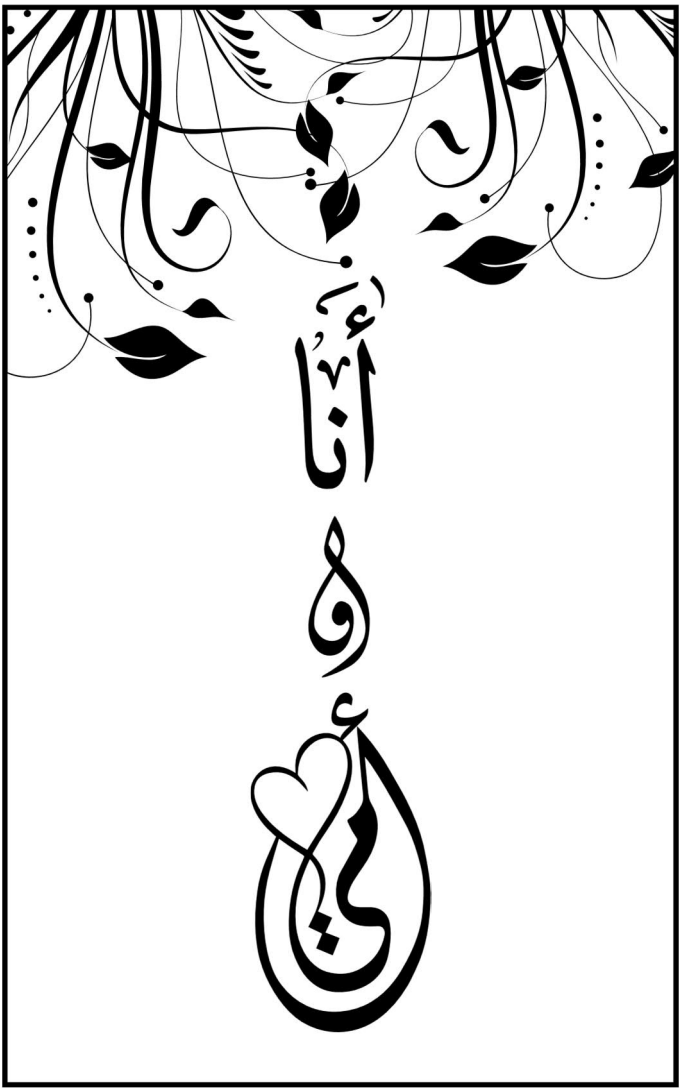
أنا
أمي

اليوم: 1

لم يحيرني ولم يعجزني أبدا معنى من المعاني في بيانه والإفصاح عنه إلا ذكر معنى فقدك، وفسر انتثاره عليّ، ولمّ شمل الكلم لخبر عمقه، وإدراك حرقته..

لم يتعبني قط أسلوب في رشح ما ذاب من الفؤاد، قدر ألمي في فهم معنى فقدك..

اليوم: 2

بالمماثلة يظهر تجلي القياس، وبفهم مدارات السياق، وتلبّس مناطات الأثر، حقيق ومتحقق به إدراك مغزى وكنه وجوهر الأمر.. الآن وعيت ما ألم بالخليفة الثاني الفاروق حين فقده لخير الخلق، الآن أدركت الحس بعدم التوقع للفقد، وكيف أنه رضي الله عنه، قال: لا يتحدثن أحدكم بموت النبي صلى الله عليه وسلم إلا قطعت رأسه ..

هل كل تلك العظمة نامت تحت الثرى ..؟

اليوم 3

إن الأرواح بعضها، وبخاصة إن انسجمت كل جزئياتها انتظاما في عقد متفرد فريد، فتصطبغ حينئذ بصبغة اللامحدودية، فتتجلى معاني الألفة حتى بين نوعين مختلفين، ومثاله بين أمي والطير.. خيوط الأنس بينكما يا أمي مسلك إدراكه رقيق، لا يلجه إلا المتفردون..

اليوم 4

خرزات عقدك الأصيل تتعب العادّ لعدّها كمّا وكيفا..

من هذا الذي لم يذق طعم جودك من الذين عاشروك؟

نهر عطائك قد طارت بشهرته الركبان، كل الأزهار المحتفة به ارتوت منه ..

حديث البخل بعيد عن جولتك خائف من صولتك.

اليوم 5

حتى في المنام يا أمي اغترف الأطفال من حنانك.. وحرارة عنايتك إذ جاءت امرأة من أقصى القرية تحمل بشارة مع وصية من منامها، بشارة توحي بحس حالك، ووصيتك لها بتهييء طعام لأطفال القرية (قصعة كسكس كذا قالت المرأة ونفذت جزاها الله خيرا).. لله درك يا إمّي، ولله در روحك.

اليوم 6

من صدق الحب ألا يترك الحبيب حبيبته، ومن عمق التعلق وثمرته إتمام الطريق وإن تخلف أحد الحبيبين، لا تذوق لحلاوة قوة الربط ما لم تكمل السير في طريق كنت أنت وحبيبك – المفقود حسا الحاضر روحا – قد وقّعتما ميثاق الصبر رغم وعورة الأمر وصعوبته، إن عهدنا الذي صغتيه يا أمي في أرقى محاسن الأداء، سأعمل على عدم خذلانك فيه، هذا العهد الذي مرتسمه وخلاصته أن يبقى أبناؤك على صورة الاتحاد، لا تفرقهم مشاغل الحياة، ولا يعتور مجلسهم انزعاج، أعدك أمي..

اليوم 7

القلب العظيم لا ينقبض أبدا.. القلب الرحيم يعاتب ولا يعذب أبدا، أخطأت في حقك بالكم الذي لا يوزن كثرة، فما سمعت منك إلا قولتك التي ما زال قرع حروفها على قلبي، يسمعها فيشتد الاشتياق فيسيل الدمع حارا، كلما اعتذرت منك أمي قلت بصوتك الرخيم الرحيم، المليء حبا:
يا بني إن الشعرة التي لا تسامحك أنا بريئة منها، وهي ليست مني..

اليوم 8

لماذا يا أمي لا يتوقف الزمن حتى أبكي كما يجب أن أبكي، إن حرقة طي الدهر نفسه أشد حين ينقدح في الفؤاد أن هذا الطي يزيد في اتساع البون بيننا.

لماذا لا يتوقف الزمن حتى أنظر لعينيك على جهة التأمل، ومرسم التلذذ.. لماذا لا يتوقف يا أمي فأسرح بروحي في جنة روحك.. شوقك أمي جلاد هذه السعادات الطارئة.

اليوم 9

الآن أمي أدركت حجم معاناتك عندما كنت تنتظرين مجيئي إليك ولا أقدم عليك تحت عذر وسبب ربما يمكن تأجيله..
الآن يا أمي علمت كم نفشت غنمي في روضك الزهراء فأفسدته، فلم تنطقي حتى بالتأوه ألما.. كم كظمت من الألم؟
كم هو مؤلم أن تنتظر من تحب ولا يأتيك، أعتذر منك أمي لعل اعتذاري ينفعني..

اليوم 10

مازالت البشائر تأتي يا أمي في رؤى من يحبك، جعلها ربي حقا، اليوم حفيدتك رزان يسوقها حظ المحبة كي تراك في أحسن حال صحة، وملبسا، مبتسمة ابتسامة تروي تشقق أرض الاشتياق، وتلأم جرح الفوارق، وتنهض الهمم للسباق.
فاللهم يا عظيم السماوات والأرض اجعلها حقا..

اليوم 11

حتى الجبل بكى يا سلطانة لقد تركت صاحب الفخامة يذرف دموعا، لم أره من قبل قد ذرفها على غيرك كيف لا يبكي وهو يحكي بهذه الدموع سبعة وخمسين عاما من الحب، دعني من حب العناق والقبل، إنه حب المو اقف، حب الطريق الطويل، حب الصبر، الحب الناتج عن عدم التأفف منك يا سلطانة، هكذا يحكي عنك صاحب الفخامة في غيابك، جعل الله هذه الشهادة في ميزان حسناتك.

اليوم 12

ذرفت عيني دمعا حارا بالأمس يا أمي لما عدت لبيتك متأخرا – الثانية ليلا – فتذكرت كيف كنت أجدك منتظرة قدومي عند نافذة البيت – أيام بطشة الشباب وصولته - حتى في أبرد الليالي كنت أجدك كذلك وقد تجمدت يداك ووجنتاك من القر، فتتسللين لفتح الباب لي، دون أن تزعجي صاحب الفخامة، مع عتاب لطيف من محب لحبيبه، عتاب نابع عن خوف علي من مصائب الليل قائلة: يا بني أنا أعلم أني قد ربيتك تربية لا أخاف عليك من رذائل الأخلاق في سهرك هذا مع صحبك، ولكني أخاف عليك الآفات، و الليل ولاد، فلا تعد.

اليوم 13

ومما حلا وودت شرب زلاله تذكرا لبعض اللطائف التي جرت بصحبتك يا أمي حين كنت أعرض عليك مسألة فقهية، وأنت لك حكم سابق قد استقيته من صاحب الفخامة، فتدور بيننا النقاشات ولا جدوى، كون أن مصدرك هو صاحب الفخامة فلا تغيير للرأي ولو بحد السيف، فلا يسعني إلا الاتجاه للمنبع ومناقشته فإن أقنعك على غيب مني، أرجع بعد ذلك اليوم فاتحا النقاش فأجدك قد غيرت رأيك وأصبحت متبنية الرأي الذي كنت قد رفضيه مني وقبلته من صاحب الفخامة.. إنه الحب الحقيقي، فما كان عندك آمن على دينك منه حفظه الله، وكنت ترجعين إليه عند استشكال أمر، فإن قال فلا قول لأحد بعده.

اليوم 14

يا إمّي إن كنت ناسيا فلا أنسى فرك ملابسنا على الآلة الخشبية (الفراكة)، إلى وقت لا يمكن للرجل القوي أن يسهر على تلك الحال فربما يصل الأمر إلى الثانية ليلا.. جهد جهيد ناتجه ظهر يكاد يتقطع تعبا، أي صبر هذا، أي جلد هذا.. رحم الله تلك النفس العالية الهمة، رحم الله ذلك الشموخ عن التكاسل.. فليكتب الله به حسنات تبلغك مراتب من جاهد في الله حق جهاده.

اليوم 15

يا أمي طالما سمعت صاحب الفخامة يقول: من أكل حقه فليغمض عينيه (اللي كال حقو يغمض عينيه)، فلم أحس بمعناها إلا عند موتك رحمك الله، فقد كان يشير بدلالة الإيماء إلى الموت، حقا لا يموت ابن آدم حتى يستوفي رزقه.. لكن ! هل استوفيت أنا حقي في التمتع بك ؟ هل أغمض عيني، و أصبرها أن تقتنع كونها استوفت كل لحظات رفقتك، هل فعلا مت يا أمي.. ؟

اليوم 16

ساقني قدري اليوم يا أمي لأرض طيبة أخرجت زينتها بعدما وصلها ربنا سبحانه برحمته فآتت أكلها ضعفين، فتذكرت يوم كنت صغيرا أجمع زهر الأقحوان كي أصنع لك تاجا، وقلادة تليق بمقام الحب الذي بيننا.

لقد ذكرتني زينة هذه الأرض روعة الأيام التي قضيناها معا في فصول الربيع كلها، أتذكرين ذلك يا أمي..

أين ذهبت كل تلك السعادات ؟؟ .. لقد غابت بغيابك.

اليوم 17

أتذكرين يا أمي أيام الأربعاء، التي كنا نعتبرها أيام الصبا بمثابة عيد أسبوعي، يوم كان صاحب الفخامة يأتينا من السوق بسيارته ممتلئة، بعد مرورب (دار الحليب)، ليجلب لنا الحليب ومشتقاته كلها.. فكان المنزل يرقص طربا بهذا الجو العائلي الأنيق، جو كنت أنت روحه وعموده، رحمك الله يا جوهر السعادة.

اليوم 18

أمي والنبي صلى الله عليه وسلم:

لقد كنت يا أمي أحرص الناس على التصلية حال سماع ذكر المصطفى، فمما عدد لك صاحب الفخامة في ذكر مناقبك، أنه من المحال أن تسمعي ذكر الحبيب صلى الله عليه وسلم ولا تصلين عليه، حتى في أشد أيام مرضك..

نفعك الله بذاك الحبل الوثيق الذي بينك وبين النبي صلى الله عليه وسلم..

اليوم 19

كيف أصبحت اليوم يا أمي..؟

دخلت الغرفة التي كان مجلسك بها، فشممت رائحتك، وتذكرت لطائف ألفاظ الترحيب منك (يا هلا يا هلا) بطريقتك المرحة، فاهتاج الفؤاد، وبخاصة لما لمحت فراغ الشماعة من ملابسك.

اليوم 20

لِمَ لَمْ أجدك اليوم أمي بعد عودتي من المباراة – كرة القدم – فتسأليني كعادتك مازحة، من المنتصر؟ فإن كنت قد انتصرت ابتسمت لي، ابتسامة الرضى، وإن أنا انهزمت، مازحتني قائلة: إذن ما رضعته مني لم ينفعك، فينقلب انزعاجي بالانهزام، إلى مرح معك..

لِمَ لَمْ أجدك أمي .. ؟

اليوم 21

وكم أتذكر يا أمي مزاحك أيام الصبا، حين كنت تنخلين الدقيق، فيتطاير غباره على حاجبيك، وأهداب عينيك، فتبدين كعجوز، فندخل عليك فتمازحيننا تمثيلا لدور المرأة المسنة، وأنت حينذاك في عز شبابك، فنسقط أرضا من الضحك حد الطخطخة رحم تلك الروح المرحة..

اليوم 22

عدم وزن الأمور بميزان فقه الأولويات هو أشنع خطأ وقعت فيه معك يا أمي، إذ لو فعلت لترجح لدي أن أقضي بالقرب منك وقتا أطول.

أعمق درس أفادتنيه وفاتك يا أمي هو أن أعتني بفقه الأولويات بشكل أكثر نضجا..

اليوم 23

كلما أردت التوقف عن الكتابة عنك يا أمي رحمك الله، انزعج قلمي واستشاط غضبا، وكلما أراد التوقف هو، أحسست بغصة الفراق أكثر كون هذه الكتابة هي النور الذي أعيش على أمله.

وكلما اتفقت أنا وهو على التوقف فاض المداد شوقا للكتابة عنك..

اليوم 24

قرأت البارحة قوله تعالى: {فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن}، فسألت الله أن يجمعني بك في الفردوس الأعلى، فمن أعظم رحمات الله تعالى أن يرضي عبده، فاللهم رضني، ورض أمي، واجعل عينها قريرة بجمعنا في جنتك يا كريم..

اليوم 25

يا أمي إنما أبكيك ليس اعتراضا على قضاء الله، - معاذ الله - حرقت عيني إن نوت فعل ذلك، لكنه ماء يخرج من القلب ويفيض على العيون، يفيض غسلا للآلام، ويحكي الرضى ويستجلب الرحمة...

اليوم 26

من عجيب الأحداث أني لم أدون برنامج يوم 13/3/2018 على مذكرتي، فعادتي أن أكتب برنامج الغد في كل ليلة، لكن مذكرتي وقلمي أحسا أن يوم الثلاثاء ذاك سيكون خاليا من كل معاني الحياة، فاتفقا على عدم اللقاء كون الأم هي مدار الحياة، وبدونها فلا حاجة لبرنامج ولا لغيره، ومن عجيب الأمر كذلك أن اليوم " الجمعة " ومن عادتي ألا أسطر برنامجا في هذا اليوم وقد و افق يوم 13 يوم وفاتك.

اليوم 27

أتذكرين يا أمي يوم أتيتك شاكيا لهمّ ألمّ بي، فنطقت حكمة ما تعست بعد سماعها أبدا كلما تذكرتها كانت بلسما لكل جرح، وتنويرا لكل درب حالك.

قلت: يا بني إن العسر لا يطول كطول اليسر، فالعسر قصير واليسر طويل، فلا تبتئس ولا تيأس، رحم الله تلك الروح الحكيمة..

اليوم 28

ها هي ذي الأرض قد تزينت وتلونت يا أمي كما كنت تنتظرين، ها هي ذي كما كنت تعدين أحفادك إن جاء فصل الربيع فستصحبينهم إلى حيث يستمتعون بجلساتك وحديثك، فلم أخلفت الميعاد هذه السنة يا أمي ..؟

وما عادتك إخلافه.

اليوم 29

اليوم يا أمي تفتح عليّ حفيدتك بابا من الألم، فتح على مصراعيه، بقولها:

يا أبتي سنقضي أتعس الأعياد بدون أمي..

(بابا هاد الأعياد الجايين غادي يكونو أخيب أعياد بلا أمي)

اليوم 30

ومن عزيز الخلق في الناس وهو من مناقبك يا أمي، قولك الحق في وجه المرء بدون نفاق مقيت، ولا مجاملة ثقيلة، قول حق مع مراعاة مشاعر الآخر، وهو أسلوب في التبليغ أنيق، ونهج في التقويم رقيق، رحم الله تلك النفس العادلة.

اليوم 31

يقولون يا أمي أرثى الشعر، شعر الخنساء في صخر، ووالله يا أمي لو يطاوعني جن الشعر لأتيت بشعر لم يطرق سمع الثقلين نظيره من قبل، ولسلمت لي الخنساء بذاك إذا سمعت نظمي وتألمت بألمي، فليس مقام الأخ كمقام الأم..

اليوم 32

السر..

لقد بحثت، ونقبت، وفتشت يا أمي عن هذا السر الذي منحك الله، سر القبول الذي بسط لك في الارض حتى بعد مماتك رحمك الله، فقلبت خصالك كلها، ودققت في عباداتك أجمعها، وعاينت معاملاتك بأسرها، فوجدت الكنز الذي منحت مفاتيحه..

إنه جبر الخواطر، فما علم قاصد قصدك وكان مكسور الجناح إلا جبرت خاطره، وعالجت كسره، وقومت عرجته.

فأسأل الله أن يجبر خاطرك بما تقر به عينك، كما كان منوالك وزيادة، والله أكرم الأكرمين.

اليوم 33

وقائلــة مــا هــذه الــدرر التــي * تساقطها عيناك سمطين سمطين

فقلت هو الدر الذي قد حشت به * أم توفيق قلبي تساقط من عيني

يا أمي قد وجدت في شعر الزمخشري معنى من المعاني التي أحس بها، فتصرفت فيه ليتسق المقال لك، فإن قال النقاد: قد كسرت الوزن، سأقول لهم: إن أمي فوق البحور وأوزانها.

اليوم 34

يا أمي ما بال تلك الرائحة الزكية لا تفارق فؤادي؟
ما لي أجد الدنيا كلها توحي برسمك، والليل يهمس باسمك؟
إن الحبيب لحبيبه لشاهد، ولا اعتبار عنده للحجب.

اليوم 35

ومن عجيب بسط القبول يا أمي، أن التعزية جاءتني من أهل ملل ونحل مختلفة، فعزاني فيك المسلمون، والمسيحيون واليهود، بل حتى بعض الملاحدة ومنهم من ذرف دمعا حارا، والأعجب منه أن بعضهم لم يقابلوك قط، لكن روحك التي تحكي قصة القبول، رحم الله تلك الأنفاس..

اليوم 36

يا أمي إنهم يتحدثون، ويحكون عن النسيان، ويزعمون أن بطول مدة الفراق يزول الألم، لكن على عكس حكمهم وقولهم أجد، فطول المدة بين فر اقنا كحبل قد علق به فؤادي، فكلما ابتعدت زمنا إلا وشد الحبل واشتد الاختناق.

اليوم 37

و إني يا أمي لشاهد على حرقتك، ورغبتك في تلاوة القرآن بشكل مرتل، محكم، لكن حال المرض دون انتظامك في جلسات القرآن وحفظه، تغيب تحسرت عليه تحسرا لو ذاقه المتنكب عن القراءة لكفاه عمره الباقي إن قضاه يتلذذ بالتلاوة، أسأل الله أن يتم عليك هذه النعمة في الفردوس الأعلى.

اليوم 38

علمني موتك يا أمي كيف أن الله رحيم بي ! إذ كيف كان حالي سيكون حال موت حبيبي وسيدي محمد صلى الله عليه وسلم؟ و أنا شاهد، حاضر أتجرع مرارة فراقه، و اكتواء دفنه..
هنا يظهر المعنى الحق للرحمة، ولو اطلعتم على الغيب لوجدتم ما فعل ربكم خيرا ..

اليوم 39

يا أمي إني أكفكف الدمع فلا ينحبس، وأمازح الأهل وأضاحك الأحبة كي لا أتعس حياتهم، وأجالسهم مبتسما دفعا للمناكدة..

يا أمي أثقلني التمثيل والادعاء..

ادعاء السعادة أشد ألما من التألم نفسه.

اليوم 40

لله در أبي ذؤيب إذ يقول:

كم من جميع الشمل ملتئم الهوى * باتوا بعيش ناعم فتصدعوا

يا أمي لقد انفطر قلبي عند سماع بيت الهذلي هذا، وأحسست بما أحس مع الفارق طبعا، فالمفقود عندي لا يعوض ومفقوده يعوض رحمك الله..

اليوم 41

يا أمي ما بالك تزورينهم كلهم في مناماتم؟ وأحرم من ذلك، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي.

يا أمي ليس هذا على سبيل الاعتراض عليك، خبيث إن فعلت أو نويت، ولكن هو استدرار رحمة، وكشف اشتياق وغيرة متوله.

اليوم 42

ومما أشهد به فيك يا قرة عيني – رغم أن شهادتي مجروحة قد خرمها و خرقها سهم المحبة، ورمح الود – كونك مخمومة القلب لا تحملين حقدا، و لا تتعبين نفسك برفع ثقل الغل ..

اليوم 43

يا أمي ها هو رمضان يطل علينا، فأين تلك السعادة التي كنت تنشرينها ترقبا له؟ أين تلك الثورة من الحماس التي كنت تخلقينها في انتظار لقائه؟ هل فعلا سيأتي رمضان هذه السنة في غيابك؟؟

اليوم 44

يا أمي ها هي ذي اختبارات السنة تقبل، فمن سيدعو لي بالتيسير والتوفيق؟ بمن سأتصل لأسمع زملائي دعواتك الرقيقة العميقة؟ وعلى من سأمر لأطمئنه كيف مرت تلك الاختبارات.. وكيف كانت أجواؤها، من سينصت لي بابتسامة عريضة ملؤها كل ذلك الحبور؟

اليوم 45

إسعاد مشوب بألم يا أمي ها هو صاحب الفخامة يهديني على سبيل الإكرام: مكتبته، قائلا: ها هي ذي كتبي، وهبتها لك لتغترف منها كما اغترفت، لقد أوقفني الإهداء سرورا وتألما.

اليوم 46

ومما يشهد به غيرواحد يا أمي أن من بات ليلته في بيتك قام للفجر بغير عناء ولا مشقة، وهذا مجرب، لعل الله أكرم حتى المكان الذي كنت تسكنيه بهذه المزية العظيمة، رحم الله تلك الأنفاس الطاهرة.

اليوم 47

ومما اشتقت له يا أمي تلك الجلسة، و أنت تعدين الغذاء لصاحب الفخامة مع ترانيمك و أناشيدك القديمة، الموحية بقمة المتعة و أنت تقومين بهذا العمل بكل حب، أناشيد تحكي رباطك بالله، وتحكي وصف الحياة الاجتماعية البسيطة المفقودة الآن، رحم الله ذلك اللسان وصاحبته.

اليوم 48

ها هي ذي احتفالات أحفادك بمدرستهم تمر باردة، جامدة، رغم حرارة وفرحة الآباء بأبنائهم، لكن (حمزة لا بواكي له)، أين تلك الابتسامة الأخاذة التي تسلب أحفادك، وتأخذ قلوبهم وهم على منصة الحفل إلى أعلى مقامات الحب لقد افتقدوك ! فليرحم الله تلك الأعين الباسمة..

اليوم 49

يا أمي ها هم أحبابي ينصحوني بالتوقف عن الكتابة، ولو علموا ما تعنيه هذه الكلمات التي أكتب وما فيها من مقاصد استجلاب الترحم عليك، لنصحوني وشددوا في النصح أن أزيدها ولا أوقفها.

اليوم 50

ها هي ذي يا أمي أم أمامة تبكيك، كونها فقدت صاحبة جوار منيع عظيم، جوار يهاب سلطته أبو أمامة، فسوطه شديد عليه إن هو جار أو ظلم، رحم الله تلك الروح العادلة..

اليوم 51

يا أمي ما لي وللهذلي، يقتلني رثاؤه في كل قراءة له ألف قتلة.. يقتلني وما يبرد اهتياجي حتى أتنفس ببيته الذي يقول فيه:

لابد من تلف مقيم فانتظر * أبأرض قومك أم بأخرى المصرع

فأتذكر أني ملتحق بركبك، فاللهم اجعل اجتماعنا بفردوسك الأعلى.

اليوم 52

"ارتاحت وما ارتحنا"، هكذا نطقها صاحب الفخامة حين دفناك يا أمي، وهو ليس من باب التأل على الرحمن الرحيم، ولكن من باب عظيم الرجاء في فضله، وكبير الأمل في نعمته.. ومن سياق شهادة العبد في أخيه! .. فكيف بشهادة زوج في زوجته؟

جعلك الله مرتاحة وهو ظننا بالكريم الحليم، ورزقنا الراحة بالاطمئنان عليك..

اليوم 53

ما أبلد الحس لدي يا أمي ! ألم يكن علم الإرث من مقرر هذه السنة فيه إشارة كان من الواجب أن أتنبه إليها فأقضي بقربك أكبر وقت ممكن، ولكن هيهات فمقام الإشارات مسلوب أنا مواكبته، بعيد أنا عن تذوقه، فما أبلد الحس لدي!

اليوم 54

ومما أتذكره يا أمي، ولذكراه تلذذ في نفسي، أيام الصبا حين نزول الغيث، نصحك لنا أن نعرض ظهورنا له وهي عارية، طلبا للقوة والاستشفاء، في جو يصطبغ بصبغة المرح والحميمية، رحم الله تلك الروح المرحة.

اليوم 55

ومن جميل خصالك يا أمي تعلقك ببيت الله العتيق، فإن لم تتيسر الزيارة، فمعظم وقتك تقضيه متتبعة للطائفين والعاكفين والركع السجود في تعلق فريد، بعيدة عما بليت به النساء من تتبع الأفلام والمسلسلات، بل كانت تصيبك حالة غضب على من كانت عادتها كذلك.

اليوم 56

يا أمي ها هي ذي أيام العمرة الرمضانية تقبل، وكل مرافقيك يتحسسون مكانك الذي أفرغتيه، ونحن بدورنا سننتظر سقيا زمزم من يديك عند عودتك، أسأل الله أن يكرمك بشربة لا تظمئين بعدها أبدا.

اليوم 57

اليوم يا أمي أقلّ صاحب الفخامة ما يوصله لبيت الله العتيق، اليوم يا أمي تذكرت رغبتك القوية في أن أرافقك في حج أو اعتمار، لكن مشيئة الله فوق كل أمانينا ورغباتنا، وهو الأعلم والأحكم، والإيمان بهذه المشيئة هو ما يخفف عني ذاك الحرمان، فلله الحمد على كل حال.

اليوم 58

يا أمي ها هي اختبارات هذا الفصل قد انتهت ولم يتصل بي أحد ليسألني كيف كانت إجاباتي، وكان همك ليس الإجابات وإنما تلمس روحي برقيق عبارتك، ومعنى أمومتك، فما أجمل ذلك الإحساس بالبنوة ولو بلغ المرء الأربعين.

اليوم 59

علمني موتك سيدتي كيف أن حبي لرسول الله يجب أن يراجع، ليس تشكيكا ولكن تمحيصا، وتدقيقا، فتحقق الحب لازمه الإدمان على الذكر، ولازمه ذرف الدمع شوقا، كما يقع لي في جنابك، علمني موتك أمي كيف أمعن النظر في قوله صلى الله عليه وسلم لعمر: [الآن يا عمر] رحم الله تلك الروح التي تعلمني حية ومتوفاة.

اليوم 60

ومن عظيم حيائك أن القارع للبيت السائل عن صاحب الفخامة لا تردين عليه إلا قرعا لا صوتا، إعلاما له أن البيت ليس فيه إلا النساء، فينصرف راشدا، فإن كان القارع أحد المحارم فتحت له، رحم الله تلك الروح الحيية.

اليوم 61

علمني موتك يا أمي كيف أشتاق لرؤية الله عز وجل، علمني غيابك كيف أتشوف لرؤية لا يعرف بعدها الشقاء ولا يلمس، اللهم ارزقني وأمي رؤية وجهك يا رحمن يا رحيم.

اليوم 62

والمبطون شهيد يا أمي والمبطون شهيد، تذكرت البارحة حديث عد الشهداء، وممن ذكر منهم المبطون وذهب جمع من أهل العلم أن كل داء احتوته البطن يلحق بهذا الصنف، ومريض الكلى منهم، اللهم تقبل أمي في الشهداء.

اليوم 63

يا أمي يتجاذبني شعوران وإحساسان، أحدهما يكسرني كون رمضان قد فقد بعض حلاوته بغيابك، والآخر يقويني كون هذا الشهر الكريم، فرصة عظيمة لتقديم ولاء البر في أرقى حلله، اللهم اجبر الروح المنكسرة، وقو الروح البارة.

اليوم 64

اللهم هذا أول إفطار من دون أمي، أسألك فيه أن تجعل مقامها عندك أخير من مقامها عندنا.. فإن مقامها عندنا كان كريما و أنت أكرم وأجود.

يا كريم إنك على كل شيء قدير.

اليوم 65

يا أمي رأيت صورة صاحب الفخامة وهو بالبيت العتيق، فكأنما يبحث عنك يا سلطانته، يبحث عن نفسك فبه عنده تدرك المدارك، وتحصل المباغي، وتنال المراغب يبحث عن روح أكسبته في حياته الطمأنينة.

اليوم 66

يا أمي علمني موتك أن ما اختاره الله لعبده وقدره عليه، هو على الديمومة يصطبغ بصبغة الخيرية المطلقة، فما وقع بعدك أمي، من فضل الله أنه غيبك عنه، فهو اللطيف بعباده..

فالحمد لله على كل حال.

اليوم 67

هل يجدي الهروب يا أمي من لحظات الأنس، لا والله! لن يجد المحب الصادق منفذا للنسيان.

اليوم 68

ومما يذكر يا أمي في حقك - ما ناءت عن إنشاء ضريبة قدر النساء الحاذقات - ما يحكي صاحب الفخامة من وسع صدرك ورحابته، سعة يذوب في رحبتها ثقل وشقاء الحياة.. رحم الله تلك الروح الفريدة.

اليوم 69

يا أمي ليس المبغي عندي من كتابة هذه الأسطر استدرار الدمع من المقل، ولكن هو لفت انتباه لمن أمه ما زالت باقية على قيد الحياة، تأكل الطعام، وتمشي في الأسواق، أن يولي جنابها زيادة اهتمام رغم أن الخبر ليس كالمعاينة.

اليوم 70

يا رميسة "باب اغمات" لا يهم موقع العظام، فقد فاح عطر روحك، لتعتمر عنك نساء لم تلتق عينك بعيونهن قط، أي روح هذه التي كانت تعمل في خفاء! أي قبول هذا الذي منحك إياه رب الرحمة سبحانه! اللهم اجعلنا من المقبولين عندك، وكما بسطت للسلطانة بسط القبول في الدنيا، أكمل نعمك علينا في الدار الآخرة.

اليوم 71

أتذكرين يا أمي تلك الأرمضة وجوها، وكيف كنت تملئين البيت بحرارة الأمومة، و"صاحب الفخامة" قد تأبط لبدته قاصدا المسجد اقتناصا للفوز بالصف الأول في صلاة التراويح، تاركا التلفاز يملأ البيت غذاء روحيا، بصوت الشيخ عبد الرحمن بنموسى، ما زال يا أمي صوت هذا الشيخ يوقظ جبار الحنين لتلك اللحظات واأسفاه على أيام أضعناها بعدا عنك.

اليوم 72

((أو ولد صالح يدعو له))، يا أمي أما الشرط الأول فمتحقق كوني ولدك، أما الثاني فأسأل العلي القدير أن أكون كذلك، فغصة عدم طلب الكمال في بروزك حياة، دافع ومحفز شديد أن أطلبه وفاة.. اللهم اجعلني من الصالحين لأجل تلك العيون الرمادية الأخاذة جمالا.

اليوم 73

كل الجمال مفقود حين أسدلت "ذات العيون الرمادية" جفنها، رحم الله ذاك الجمال.

اليوم 74

وخير شاهد على المرء من كان ألصق الناس بمناشطه، وهو في هذا المقام صاحب الفخامة إذ يحكي كيف كانت نبرة الخشوع في تلبيتك، وكان ذاك الارتقاء الروحي وهذا معنى نص قوله: لا أستطيع وصف تلبية أمكم لما كان لها من عمق في ((الأداء وتذوق في التمثل))

اليوم 75

تالله تفتأ تذكر "ذات العيون الرمادية" حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين، ذكرني أحد الأحبة بالآية فشبه حالي بحال يعقوب عليه السلام، فتذكرت حاله عليه السلام وأحسست بعمق ما أحس به.. والله لا تهمني صحتي يا أمي، ولا أتعمد ضرها، ولكن هو الشوق يفتك بالأكباد.. وتنفطر القلوب بسببه.

اليوم 76

وإني لأستغشى وما بي نعسة * لعل خيالا منك يلقى خياليا

خليلي إن ضنوا بأمي فقربا لي * النعش والأكفان واستغفرا ليا

غفر الله لأمي ذات وصل شديد * غفر الله لذات العيون الرماديا

يا قيس كل يغني ليلاه، وشتان ما بين ليلاك وليلاي.

اليوم 77

ضممت يا أمي خالتي حفظها الله، فشممت رائحتك.. فبعد أن فتحت بابها لإطعام الأيتام البارحة وفي نهاية النشاط، قالت لي قولتك العظيمة:

هل مر الأمر كما تحب؟ سؤال كاد أن يجري دمعا حارا، لولا أن حبسته مخافة إفساد الليلة على أصحابها، رحم الله أمي وحفظك خالتي.

اليوم 78

لا يسعف المقصر - على وجه الاختيار - في جناب الحضرة الأبوية ندم.

اليوم 79

التقيت البارحة بجارتك وصديقتك، فسلمت عليها تبررا بمقامك يا أمي، فنشطت لهذا السلام، وبدأت تحكي أعظم جارة كنت، وكيف أن ما عندك ببيتك ملك لجيرانك.

وكيف كانت تلك الجلسات بمعيتك بعد خروج صاحب الفخامة للعمل، وتلك الإفطارات اللذيذة (الفطور الثاني) لا بالمحتوى، ولكنها لذيذة بحسن العشرة، والنكتة والبِشر.

كم تركت من فراغات يا أمي فمن يملأ بعضها، أما كلها لا سبيل لملئه.

اليوم 80

وحتى بعد وفاتك يا أمي ترشدين، البارحة زرت ابن الخالة مناما فكان قولك له عظة وحكمة وهكذا كان: يا بني دع عنك الدنيا وشدة الحرص عليها، وابتغ سبيلا يدنيك من ربك، ويزلفك إلى مولاك فهذه الطريق، فعض عليها بالنواجذ، رحم الله تلك الروح الرشيدة.

اليوم 81

أتذكرين يا أمي تلك اللحظات في صباي، وأنت تنظفينني بالمطبخ، وهذا كان حال الناس في ذلك الوقت، التماسا للحرارة، وخوفا على صبيانهم، كنت تجلسينني داخل إناء، وتصبين علي ماء ينزل مشبعا بالحنان..

نخيلة الأمر قد اشتقت لك، وكسرني اشتياقي.

اليوم 82

أتذكرين يا أمي عندما ننفرد أنا و أنت وصاحب الفخامة فيبدأ في وصيته قائلا: يا بني إن أنا مت فكن منزلي لرمسي واحرص على أن يكون وجهي إلى جهة القبلة مقبلا.. تثورين غضبا موقفة إياه، قائلة: بالله عليك كف عن هذا الكلام الذي لا أستطيع سماعه، فإني أسأل الله أن يجعل يومي قبل يومك.. قد استجاب الله دعاءك يا أمي، لكن ! هل علمت ما فعل رحيلك قبل رحيلنا.. ؟

اليوم 83

ومن الألم ما يتلذذ به، إن كان يذكّر بحبيب، فكيف إذا كان يذكر بسبب الوجود، هذا ما أحس به يا أمي حين يؤلمني رأسي متذكرا أني و أنت نشترك في هذه العلة، و إني ورثتها منك، هذا الألم فكيف بالاشتراك في أمر يتنعم به، البسمة مثلا فقد كنت بسامة.

اللهم خلد تلك البسمة وصاحبتها في فرد وسك يا كريم.

اليوم 84

سببان يختلطان على جهة الخلف الشديد بين الابن وأمه ويتحدان في النتيجة التي هي وجوب البر بها، فالأول: كونها هي السبب في وجوده، والثاني: كونه سببا في معظم علتها، لذا فبلوغ النهاية في رد فضلها عليه دونه خرط القتاد..

رحم الله السبب في وجودي، وغفر لي تسببي في مرضها.

اليوم 85

ومما يتذكرك به حفدتك أمي، أنك كنت السد المنيع دون معاقبتهم من ابنك، فكلما هممت بالعقاب ذكروني بعهدك في حمايتهم، ويكون سبيل منعي قولهم: رحم الله جدتنا لا تفعل.

اليوم 86

وأظهر يا أمي من البِشر ما يلائم كل مقام، مخافة أن أنعت بمفسد المجالس، ومحب البؤس، لكن والله أصدقك القول ما إن أنفرد بحالي، وبنفسي المتخرمة، حتى يصب علي الحزن معدنا مذابا، يقهر تصبري، حال ترسم شخصين في شخص واحد قد تنافرا على غير تساوق حد الانفصام..

فاللهم ارحم روحا أتعبها الحزن.

اليوم 87

فهل يا أمي موت الأم قبل ولدها دليل على شقائه، إذ هي باب من أبواب رحمة الله عليه، فكيف لا ينعت بالشقي من فقد بابا يتلمس فيه الفتح لمظنة الرحمة بداخله..؟

يا صاحبة العيون الرمادية لا توصدي باباتك دوني.

اليوم 88

يا أمي بعد رحيلك الجسدي أصبح الزمان لا يحس إلا بأواخره من فرط سرعة انقضائه، أهو الشوق يدفع الأيام كي تنقضي ليتم اللقاء؟ أم أن الحياة فقدت حلاوتها فلا فرق بين انقضائها أو بقائها ؟ فها هو رمضان تغيب شمسه من غير إيذان بالرحيل مع تسارع في دقات قلبه التي توحي بانقضائه.

الكل يرحل برحيلك حتى العمر.

فاللهم اغفر لنا ما مضى، وأحسن إلينا فيما بقي.

اليوم 89

ما لي لا أسمع الرنة الخاصة بك يا أمي، ومكالمتك التي توصيني فيها كل ليلة عيد ألا أتأخر عنك، سأكون على العهد يا صاحبة العيون الرمادية، لن أتأخر حتى وإن غاب جسدك، لن أتأخر ولو لشم رائحتك في مكانك المعتاد، لن أتأخر لعلمي أن هذا سيسعدك، سألتحق بركب إخوتي لنجتمع على مائدة البر.

اليوم 90

فيما مضى يا أمي كنت أستغرب زيارة الناس للمقبرة فور خروجهم من صلاة العيد، وكنت أنكر عليهم ذاك بقولي: هذا يوم فرح فلم هذا الفعل غير الرشيد في وقت غير سديد؟
الآن أدركت يا أمي لم يفعلون ذلك!
عوضنا الله و إياك تلك السعادات في الفردوس الأعلى.

اليوم 91

علمني موتك يا أمي كيف لا تستقيم لذة الحياة إلا برباطين رباط سبيله الأم والأب، ورباط عموده وجوهره الذّكر، بعد فقد أحد السبيلين الأولين لزم المرء زيادة عناية وتهمم بالرباط الثاني، و هو الذكر الذي لا ينقضي، و لا يموت، و لا ينقطع.. رحمك الله معلمتي الخير.

اليوم 92

أيا مدعيا الملل في أيام العيد، ستعلم حقا كيف هو الملل حين تفقد أمك، ستتذوق حقيقته، وتلمس حرقته، وتكويك نيرانه، وتشرب مرارته.

عندك ما يدفع به الملل والسآمة، فالزمه واحتم به من عذابات الضجر، فلن تجد مثله بعده.

اليوم 93

يا أمي أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني إن أنا نسيت كل لحظات تهممك بهمي، وانشغالك بشغلي، أي ناكر أكون لو سولت نفسي لنفسي دفع وقع الذكرى بمجرد طيف عابر، كما جرت العادة للمفقود لهم بعد طول مدة الفراق، بيني وبينك عهد وفاء وبرور.

اليوم 94

ومن عظيم خصالك يا أمي تهممك بحال المسلمين، فكل قضية كنت تعيشينها بكل حواسك ومشاعرك، متأسفة لما آلت إليه الأمة، وعلى رأس هذه القضايا قضية فلسطين، وكيف كان تأوهك وأنينك لحال الأطفال والشيوخ هناك متمثلة قول النبي صلى الله عليه وسلم:

(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).

اليوم 95

ومن عظيم حكمك، وبلاغة لفظك، وذوق عباراتك، كلماتك التي تنزل على المهموم ثلجا تدفع عنه حر الغم، وشدة الكرب، حين ينطق لسانك فيقول لي حين كان لي هم يضنيني:

يا بني لا يستمر العسر قدر استمرار اليسر.. (ما تتكعد الشدة كد داكشي اللي تيكعد الرخا) كلماتك بسيطة المبنى عظيمة المعنى، يحس ببلسمها من قيلت له من فيّ مليء بالحمد.

اليوم 96

لقد اجتمع أحفادك يا أمي ببيتك، يبشرون بنتائجهم فقد استكملوا عامهم هذا، لكن هي تباشير بدون نكهتها المليئة فرحا، فقد فقدت زغروتتك العامرة سعادة، زغروتة تخبر الجيران بفرحتك التي تعدل كل تلك النجاحات سرورا.

اليوم 97

اليوم يدنيني صاحب الفخامة منه فأجد بحرا من عاطفة الأبوة الرحيمة، كان حجابها الهيبة، وسدلها العزة، يا أمي قد أحسست الآن قدر الرابط الذي كان بينكما وعظمته، علمت أي رجل كنت تحبين، وأي شخصية يتمتع بها هذا الجبل حفظه الله وألبسه لباس العافية.

اليوم 98

يا أمي علمني موتك كيف أفهم وأعي كون بعض الصحابة قد تخيروا الاستقرار خارج الحرم، إذ الأمر غير مأمون والذنب و اقع لا محالة، فخافوا جناب الجبار لو اقترفوا الذنب بحرمه، فقست الحال بالحال وعلمت أن ما اختاره الله في أمر قبضك لابد وفيه مقصد خير، فالذنب والعصيان في حقك أهون منه قبضك إليه، - ونحن على هذا الرباط الوثيق من الحب - والله هو العليم الخبير.

اليوم 99

أيها الواشم لفظ "أمي" على كتفك قد غبطتك – ولفعلت فعلك لولا مانع الشرع – لعل الله يغفر لك بحبك لأمك.

فليكن الوشم في القلب، وليكن الدعاء ذكرى حب لا تنقضي، وأسلوب بيان لقوة العلاقة لا ينفصم، وحجة بر لا تنتهي.

اليوم 100

بالأمس يا أمي يكتب ابنك عبد العالي عنك، أتعرفينه؟ لقد أنجبته بعد وفاتك، أنجبته روحك، هو صديق أصيل، تنبع مياه الأصالة النقية من معاملته.. إحساس عميق أن تجد من يشاركك إحساساتك ويدعو لأمك كأنها أمه..

رحم الله تلك الروح الزكية.

اليوم 101

هذا ما كتبه صديقي وأخي عبد العالي رحمه الله عنك يا أمي: حقا تشوقت يا أمي لو كانت لي جلسة صغيرة معك لأغترف من معين فضلك فوالله رحيلك أشعرني بشعور غريب رغم أن عيني لم تنعم قط برؤيتك ولو لحظة قبل موتك، أدركت من خلال ابنك الصالح – بإذن الله – أن البر له أنواع عديدة وأشكال كثيرة دائما يكون هو السبب في دعائي لك بالرحمة و أنت المرحومة برحمة الرحيم، ذلك ظننا برب العالمين.

رحم الله تلك الروح المؤثرة، صاحبة العيون الرمادية كما يحب ابنك أن يصفك.

اليوم 102

إن كان يا أمي ابنك عبد العالي قد كتب كلمات من مداد المحبة، ومن إداوة الصدق، فابنك حمود قد سطر أسمى مراتب البنوة في الدعاء لك في كل لحظة، على طريق يوحي ببرور أخ، صديق، حميم، وبصدق ابن قد رشف من معين مودتك على غير لقاءات كثيرة، لكن هي عطاءات الله قد وهبها لروحك.

اليوم 103

ها هو يا أمي الأستاذ الدكتور محمود الغوثاني أبو رضوان السوري يرصع قلادة ذكراك بأبيات رقيقة، ترسم المدى الذي وصل إليه صيت روحك الطيبة، أبيات تتفتق منها معان قد رسمتيها بما عرف عن روحك من نقاء.

اليوم 104

وينظم شاعرنا الفذ الاستاذ عبد الحميد العمري المغربي - جزاه الله خيرا - أبياتا يصف فيها صورتك بين الناس بعد وفاتك؛ فيرسم فيها معنى بقاء ذكر المرء بالحسنى بعد وفاته، إن هو كان على هدى تخليد الذكر، منتظما في سلك قوله تعالى على لسان الخليل عليه السلام: ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾.

اليوم 105

ويسيل من بلاد الحرمين يا أمي مداد قلم الأستاذ الكبير جمعان أستاذ العربية وأديبها، مبدعا، مسطرا شعرا يصف فيه روحك، وكيف خلت الدنيا بفقدك، جزاه الله خيرا على صنيعه، فبمثل كتابات هؤلاء الأساتذة الأفاضل، تمسح الدمعة من المقل، ويبرد حر الفؤاد.

اليوم 106

ويخرج يا أمي من بيت البيدانيين (عائلة بيدان)، شعر ينظم لسلسلة الأشعار التي قيلت فيك، أبيات تحمل معاني الصدق في الأخوة بيني وبينهم، معتذرا لك أخي عبد الفتاح عن عجز قلمه لبلوغ كتب كل مناقبك..

فجزاه الله خير الجزاء على صنيعه، ودامت الأخوة.

اليوم 107

يستفيق البار من حياة الغفلة يا أمي قبل الفقد؛ فذلك البر الحق.

اليوم 108

سبيل الادعاء في الحب يا أمي مقطوع، وحبل الحب الحقيقي قوي متين.

اليوم 109

الآن يا قرة عيني أحسست معنى الحب الذي كنت أقرؤه في مقامات أولياء الله ولا أعيه، الآن وعيته وأدركت كيف كانت تشوى أكباد الأحبة حتى يشم لشيها رائحة، الآن تلبست معنى ضيق الصدر، واختلاف أضلعه؛ حال فراق الأحبة، رحمك الله، وأسأله ألا يصل إليك خبر حالي وما أنا عليه.

اليوم 110

اليوم يا ذات العيون الرمادية تزورني زبونة في الدكان كانت في مثل سنك، ومن عجيب المو افقات أنها تشبهك إلى حد كبير، فما شعرت إلا بدمعة تقفز من مقلتي حارة تحمل بحرا من الشوق، فاستدرت أداري وأكفكف دمعي لأن المقام لا يقتضي السماح لنهر الدموع بالسيلان.

اليوم 111

و أنا أقرأ مرثية ابن الظهير للإمام النووي رحم الله الجميع.

عز العزاء وعم الحادث الجلل * وخاب بالموت تعميرك الأمل

واستوحشت بعدما كنت الأنيس بها * وساءها فقدك الأسحار والأهل

أحسست كأنه يرثيك يا أمي، رحم الله مؤنسة الجمع، وراتقة الصدع.

اليوم 112

و أنا أنصت لتفسير اسم الله الحميد، قال الشيخ: والمبصر حقا للحق هو من يبقى اتصاله بالمنعم، والمقصر من تكون همته الالتصاق بالنعمة، فأسقطت الكلام على حالي بيني وبينك، فكان شوقي لك هو ذكر للمنعم سبحانه وتعالى، وأعوذ بالمنعم أن يكون شوقي التصاق بالنعمة وتغييب لمصدرها.

اليوم 113

ورغم امتلاء الدنيا، وكيفما امتلأت، وبأي شيء امتلأت، فلا امتلاء لمكانك يا ذات العيون الرمادية.

ذقنا معنى الخواء الذي كنا نسمع عنه، وتلظينا بناره، يدفع أبناؤك الدمعات حال اللقاء، وهي بادية على وجه كل واحد منهم، يدفعون لعل المؤانسة تنسي، ولعل البسمة تجدي، لكن هيهات فالمفقود عظيم، ومكان العظيم لا يعمره شيء.

اليوم 114

ويصدر يا أمي عن أم أمامة ما يذكرني بنصيحتك لي بزيادة الاعتناء بها، فنظرتك لعاقبة الأمور نور منحه الله إياك، لا تقلقي أماه فأنا على العهد ما استطعت..

رحم الله صاحبه النظرة الثاقبة.

اليوم 115

وكل المصائب ينقص وربما يزول وقعها بكثرة الرد، ودوام المناولة والحديث عنها، إلا الحب فكيف به إن كان في أبهى صوره، وأعلى مثاله، وهو الشأن بيني وبينك يا ذات العيون الرمادية..

رحم الله كل ذلك الحب وصاحبته.

اليوم 116

ويسترسل صاحب الفخامة في ذكر مهارتك في الطبخ وتفننك في خدمته، بعدما وضعت البارة بوالديها (أختي) طبقا مما كان يتلذذ صاحب الفخامة بأكله، مصنوعا من يديك الرقيقتين، رحم الله كل ذلك الاتفاق، وكل ذلك التهمم بالزوج..
رحم الله تلك المدرسة.

اليوم 117

أيها الأحبة استمتعوا بأحبابكم، فإن الموت أخاذ.

اليوم 118

كل الدنيا تذكرني بك – هذا إن كنت قد نسيت – حتى فاكهتك الصيفية المفضلة، تتساءل لِمَ لَمْ أقتنيها في موسمها هذا؟
ألا تعلمين أن من أقتنيك لأجله قد رحل.

اليوم 119

ذكرتني أيام الصيف هذه بتلك اللحظات التي كنا نقضيها بالبادية، نتسلل أنا وإخوتي كي ننعم بالسباحة بصهريجها، فكان الوقت مبكرا مما يزعجك خوفا علينا من البرد، فتعتابين بقولك: (راه أوليدي ما حبستكمش ولكن هير حتى يطلع النهار ويسخن الحال)، عذرا أماه فما كنا ننصت لنصيحتك، وما كان خوفك يثنينا عن عصيانك، فاللهم اغفر لنا هذا كله.

اليوم 120

ومما تذكرني به هذه الرمضاء إذ كنت شديد التعرق، كنت رحمك الرحيم تضعين رأسي على ركبتك فتدخلين أصابعك الرقيقة بين شعري، فترسلين من فيك هواء، يذهب عني كل ذلك الشعور بضيق الحر وشدته.

أسأل الله كما كنت رحيمة بي، أن يكلأك برحمته، ويحرم جسدك عن حر النار.. والجزاء من جنس العمل، والله أرحم وأكرم.

اليوم 121

وأنا أشاهد اليوم يا أمي شريطا لك بمعية أحفادك، وكيف كنت تسعدينهم بقفشاتك، وخفة دمك، كسرني ألم شوقك، وجبرتني بسمتك.

أعاد الله علينا كل تلك السعادة وزيادة في الفردوس الأعلى.

اليوم 122

وأنا أحضر زفافا اليوم يا أمي تذكرت زغروتتك التي تبعث في العرس بهجة، تسعد العروسين، ويفرح بها أهلهما، ففي كل عرس تسمع أهل العروسين، وهم يبحثون عنك: أين الحاجة أمينة لتزغرد، فلا زغروتة فوق زغروتتها بهجة وقوة..

السعيد من حضرت عرسه، ولا يحل محلك أحد يا صاحبة السعادات.

اليوم 123

ويحل الصيف وتخلو الديار من عامريها، ويبقى الأبوان لوحدهما، فيذكرني الأمر بك يا غالية الروح، كيف كنت تقضين يومك ونحن قد فرغنا البيت طلبا للاستمتاع، وما علمنا ولا خطر على قلبنا أن الاستمتاع بجانبك ألذ، ولكن غفلة الشباب جعلتنا نتيه دون إدراك ذلك.

اليوم 124

واشتعل الرأس شيبا، يا أمي هذه داهية دنيوية انظري ماذا فعلت بي، قد شيبتني وصار الرأس تحسب شعراته السوداء، فكيف بدواهي يوم القيامة، فاللهم سلم سلم.

اليوم 125

وتبكيك الصديقات يا أمي! تبكيك الصديقات! تبكين لحظات الأنس، تبكين روحا قد تركت خواء باردا..

هكذا أخبرني صديقي عبد الجليل ابن إحدى الجارات الحميمات.

اليوم 126

ومهما يدعى الإلف، فلا سبيل لتقبل غياب روح قد أفرغت مكانا لا يعمره شيء.

اليوم 127

وفي مقام خوف الابن على أبيه أقول تالله تفتأ يا صاحب الفخامة تذكر ذات العيون الرمادية، حتى تكون حرضا، أو تكون من الهالكين: فيقول لسان يقينك، فصبر جميل، والله المستعان.

اليوم 128

يا أمي ما عهد عليك إخلاف وعد، فلم أخلفتيه هذه المرة، ألم نتفق على أن يكون اختيار زوجات أحفادك من مهمتك؟ ألم تعديهم باختيار أصلحهن وأجملهن؟!

لم يا صادقة الوعد، كنت على غير عادتك هذه المرة!؟

اليوم 129

وتذكر أم أمامة نصحك، وحكمتك يا حكيمة الزمان في قولك: لا تلد الأشقاء إلا من شق قلبها، ومعناه إذا لم تصبر الزوجة فلن تستطيع أن تلد أبناء أشقاء، وسيكون المصير الفراق.

اليوم 130

أيها الأحبة !! التفوا حول أمهاتكم؛ فإنهن مغادرات على غير موعد.

اليوم 131

علمني موتك سيدتي كيف يكون الإخلاص بين زوجين؛ حين يذكرك صاحب الفخامة في كل أحواله، حتى الفاكهة التي كنت تحبينها يذكرها بمدح لسبب واحد هو كونك كنت تحبينها، فيحكي فرحتك بها عندما يجلبها لك خاصة، ومدار الأمر كله تلك الخصوصية في الاعتناء لا الأكل.

اليوم 132

أخبروني !! أحقا يمكن أن نسمي العيد باسمه عند غياب من نحب...؟؟

اليوم 133

يا أمي أين زحمة العيد؟ و أين فرحته، بل أين الناس؟ حومتك خالية، بعدما كانت تشهد زحاما، وضجيجا، ونداءات الباعة تحكي روعة العيد.

أهكذا عيد كل مفقودة له أمه.. أم وحدي أعيش هذه الوحشة؟

اليوم 134

الذي يؤلم في الأمر يا حبيبتي أن الفراق كلما اتسعت رقعته بَعُدَ زمن آخر لقاء بيننا، أحقا لم أرك منذ خمسة أشهر؟

اليوم 135

ألا فليزر طيفك يا أمي صاحب الفخامة، وليطمئنه أننا لن نحيد عن وصيتك التي وصيت فيها بلزوم مجلس العائلة، أعلميه يا ذات العيون الرمادية أن الاجتماع معه في جلسة تحيطها أبوته، من خير نعم الله علينا، أخبريه أننا الرابح الأكبر فليطمئن.

اليوم 136

أي عذاب يعذب غيابك صاحب الفخامة، وأي عذاب يعذبنا صاحب الفخامة بشوقه لك.

اليوم 137

ويذكرك أمي من كنت تذكرينهم بإحسانك في مثل هذه الأيام المباركات..

رحم الله روحا أحست بمحتاج فأعانته.

اليوم 138

عيد مبارك سعيد يا أمي.

اليوم 139

ويل للأبناء من بيوت أمهاتهم، بعد فراغها منهن.

اليوم 140

هو: أيعقل أن يترك شخص كل هذا الفراغ؟؟

أنا: نعم! إذا كان هذا الشخص هو الأم فلا تسل عن الفراغ، ولا عن الوحشة.

اليوم 141

يا أمي الوجه باسم، والفؤاد عليل.

اليوم 142

علمني موتك أمي كيف أنظر، وأعيد النظر في صفة الله تعالى الحي.. علمني موتك أمي كيف أستشعر عظمة هذه الصفة، وعظمة صاحبها جل جلاله.. علمني موتك أمي كيف أمعن النظر في معنى، وقهرت العباد بالموت.

علمني موتك كيف أعيد الترتيبات لأعمق إيماني من جديد، وأعي الفرق بين الخالق والمخلوق.

اليوم 143

نعم يا أخي هو كذلك ولكن.. !! تنقصني أمي.

اليوم 144

أتدرين يا أمي فقد الأمهات عظيم، والأعظم منه عدم الإحساس بفقدهن، فالويل لعديمي الإحساس.

اليوم 145

قلت لك بالأمس يا أمي، فقد الأمهات عظيم، والأعظم منه عدم الإحسان بفقدهن، فوجدت الأعظم من ذلك كله عدم الإحساس بوجودهن، فليفق من مازالت أمه بجانبه.

اليوم 146

يفتح اليوم أحد الزبائن باب الذكرى الجميلة على صاحب الفخامة إذ سأله: أين تلك الأكلات التي كنت أجدك تأكلها بشهية، فتشركنا فيها، لا نظير لتلك اللذة، ولا شبيه لتلك الوجبات يا عمي الحاج: فأجابه بأسى عميق، وصوت يعبر عن حب عظيم.. ذهبت صاحبة ذلك كله.

اليوم 147

والذي أكتبه في هذه الخواطر يا أمي وأحسه لأمم في جنب ما تستحقينه عناية، والمتفقد لأخابيرك والباحث في حالك يكتنفه سر ولايتك وعظيم مناقبك.. ولا يعرف حق الذمام إلا من عرف طبقات الحق في مراتبه..

وبهذا يا أمي نسأل الله أن يقينا معصية التقصير في حقك.

اليوم 148

مطارق الاعتبار تقض مضجع الاعتذار.

اليوم 149

و أنا التلميذ بين أستاذية موتك إذ هو مذكري دائما فكان تذكيره لي اليوم بأمر العبد، كيف هو مع ربه؟ وكيف يعلم مكانته عند خالقه؟ فخلصت أن ميزان الاستقامة، مربطه كيف هو حال المرء في خلواته؟ فقست الخلوة بغيبك فكاد الأمر يتساوى مع خلف في النهج، و اتحاد المقصد، فالبار بك حقيقة هو من يبرك على غير شهود منك.

اليوم 150

ومن صفاتك التي تميزك عن خلق كثير، ويطيب لي أن أذكرها على سبيل البرور والفخر بك، لعل مقتديا يقتدي، فيكتب الثواب لنا معا، قلت: كنت يا أمي أولد للذكورة، و أنسل للبعولة، و أقل ضوى وضؤولة، و أنتق رحما، وأشد عصبا و أتم عظاما، صاحبة كرم وجود، وليس المعرق في العطاء كمن هو فيه حادث، وهذا باب يتقدم فيه التالد القديم على الطارف الحديث.

اليوم 151

لا تصبوا الماء البارد على الحديد الحامي .. !

يا أمي لا يدري من يأمر بالتوقف عن الحزن بشكل قطعي أنه لا يفقه في التعزية شيئا، و أنه لا يزيدك إلا اهتياجا، ألا يدري أن الأمر يلزمه التدرج وهي سنة الله في معظم شأنه، وهو متوقف على وقت لا محالة، وهذا الوقت يقصر أو يطول حسب قوة الارتباط بين الميت وأهله. الحديد الحامي يلزمه وقت ليس بالهين كي يبرد، وإلا فصب الماء البارد عليه قد ينتج عنه تشوه.

اليوم 152

قرأ الإمام اليوم [والله لطيف بعباده] فتحسست أين يكمن لطفه في موتك يا قرة العين، فجال بخاطري الكثير، ولعل أعظم ما مر به و انقدح، هو تحقق كمال حكمة الله، ونسبية وقصور إدراك العبد، ومن كانت صفته القصور لا يستطيع بحال إدراك ما صفته الكمال، إلا اجتهادا يمكن أن يصيب فيه بعضه، ومنه والحالة عندي:

إما موتك، وإما بقاؤك مع شدة الألم، والمحب حقيقة لا يستطيع رؤية من يحب على حال يعلم الله ألمها، مع عدم القدرة على فعل أي شيء، وبين موت ثم إكرام من الله، وحسن ظننا به عظيم .. جزى الله الإمام على اختياره فيما تلا.

اليوم 153

القريب جدا أعظم عزاء في ميته، كونه قد أفرغ الوسع في بره، وكذلك هو الأعظم ألما.

اليوم 154

يا أمي رأيت فيما يرى النائم أن فقيرة بباب منزلي تطلب كفافا، وكنت معي بالبيت، فقلت لأبنائي: أخرجوا للمرأة ما يمكن أن يسد حاجتها، فلم نشعر إلا و أنت تسبقينهم إليها فتمدينها بما جادت نفسك به، فإذا هي ترشك بماء كانت تحمله، فدخلت للمنزل، وهرولت إليك خائفا مما قد يصيبك من ذلك الماء، فإذا أنت أشد قوة، مبتسمة تطمئنيني قائلة: لا تخف يا بني أنا بخير.

اللهم لك الحمد على هذه الرؤيا جعلها ربي حقا..

اللهم اجعل حال أمي وأموات المسلمين خيرا مما رأيت.

اليوم 155

يسدي إلي أخي وصديقي حمود، وفضائله علي كثيرة وأعظمها هذه إذ قام باتصال مرئي فأجبته، فإذا به يوجه شاشة الهاتف إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فسلمت، وسال دمعي يحكي الشوق لحضرته صلى الله عليه وسلم، فلا تسألي يا أمي عن حالي حينذاك، وكيف تذكرت الرغبة في رفقتك لكن الظرف منع، وليس المنع ها هنا إلا قدر قدره الله لحكمة هي أبلغ من متعة مر افقتك، فاللهم قو إيماننا لندرك بعض حكمتك فترتاح قلوبنا.

اليوم 156

يا أمي الحروف لا تفي، والكلمات لا تكفي، والحزن لا ينقضي.. والصبرينفد، والألم ينفذ، والقلب ينصدع، لكن الرجاء لا ينقطع.

اليوم 157

أين طبق الفاكهة يا أمي؟

أمس زارتني بنت الدهر، فتذكرت طبق الفاكهة البارد الذي كنت تأتيني به إن أنا مرضت ولا أستطيع أكل أي شيء.

حقيقة الابن يحن إلى لمسات أمه وإن كبرسنه، وإن وجد عناية من زوجه وبنيه لكن لمسة الأم تختلف.

اليوم 158

صدق المكناسي يا أمي، إذ جاءني يحكي عن حبه لأبنائه: فقال المثل المشهور.

ليس هناك أحلى من لعب الأبناء فوق الفراش، وليس هناك أشد ألما من حبيب على النعش.

هو ينظر لشطر المثل الأول، وأنا عذبني شطره الثاني، فعلا ليس هناك أشد حرا وألما من رؤية حبيب على النعش.

اليوم 159

وقبلت رسم الدار حبا لأهلها * ومن لم يجد إلا صعيدا تيمما..

هكذا حالي معك يا أمي، أتحسس كل ما يمكنه أن يشعرني بك، فالشوق يقطع الفؤاد.. فاللهم صبرا.

اليوم 160

رحم الله أبا فراس:

وما نال مني الأسر وما تريانه * ولكني دامي الجراح عليل..

تذوقت البيت فأبدلت الأسر بالموت، وهذا حالي يا أمي مذ فارقتني ما إن أسمع شعرا إلا أسقطه على حالتي.. فاعذري حزني، واغفري تألمي، فإني أعلم أنك لن ترضيه لي.

اليوم 161

وكما قال الجاحظ أقول:

وأنفع المدائح للمادح وأجداها على الممدوح، وأبقاها أثرا وأحسنها ذكرا: أن يكون المديح صدقا، وللظاهر من الممدوح موافقا، وبه لائقا.

ولكل نصيب من النقص، ومقدار من الذنوب، وإنما يتفاضل الناس بكثرة المحاسن وقلة المساوئ.

ولعل ذكر محاسنك يا أمي محض برّ بك أسأل الله أن يسد به ثلمة ما فرطت في جنبك حال حياتك.

اليوم 162

رأيت صورتك و أنت على خيل فوددت لو كنته فتركبيني، لعلي أصيب بعض الرضى، أو يلمس جلدي لطيف جلدك.

اليوم 163

ومازال عبق ذكرياتك يفوح فوق دير المدينة، وما زلت أتيه بين طرقاتها، أتحسس موضع قدميك، لعل الأثر يوافق الأثر، ولعل أخذ نفس يوافق بعض عبيرك، وروعة طيبك.

اليوم 164

يا أمي ما لون السماء؟ وما القمر؟ مذ غبت تغير لونها في عيني، وخبا ضوء القمر.. لكن! القمر لا ينكسف لموت لأحد، ولا السماء يحجب لونها على أحد، لقد أدركت يا أمي أن عيني هي التي قصرت عن تأمل جمال الأشياء.

اليوم 165

لله درك يا جامعة الشتات، لله درك يا صاحبة الأنس، لو علم رواد ما يطلقون عليه التنمية الذاتية، واستقطاب الطاقات البشرية بتلك القوة التي منحك الله في جمع الناس حولك، لانكبوا على دراسة مقومات ذلك عندك.

اليوم 166

ألا يد منك تمد يا أمي فتمسح على رأسي لتعيد للشعر سواده ونضارته، ألا قبلة منك كعادتك، ترسم على جبيني كل سعادات الدنيا.. ألا نظرة من عينك تزيل عن القلب نجبة الهم.

اليوم 167

و أنا أنصت يا أمي لسيدي عبد الله بالمدني يتحدث عن مقام الرضى، وكيف أن لازمه أن يكون المرء مع ربه وأن يتذوق لذة المناجاة، وهذه الكلمات التي أكتبها عنك والتي ترشح حزنا، أسأل الله أن تكون صورة رضى لا سخط، فهي صورة من صور الانكسار بين يديه، وهي بابة لتنهد قلب مكلوم، أسأل الله ألا يكون فيها مقدار قطمير من سخط.

اليوم 168

والمرء يا أمي مجبول على اجترار المنافع، ودفع المضار، والأمر نسبي في ذلك بين خلق الله وطباعهم، فرب متحدث عما يحزنه يتنفس بذلك ويزيل عن روحه كربتها واختناقها، أسعد من كاتم لهمه في قلبه حتى يكاد يودي به إلى المهلكات، وهو باب قد مكن الله به خلقه رحمة بهم، لا حيز فيه للإثم.

اليوم 169

ولربمـــا تـــأتي المســـرة بغتـــة * وتـراك تنسـى كـل أيـام الألـم..

ثـق بالـذي أعطـاك قلبـا طيبـا * ستطيب دنيانا وتزدحم بالنعم..

نعم نعم ستزدحم النعم، لله در الناظم يا أمي ذكرني بسعة فضل الله بعد أن أخذتني حميا الضيق والحزن.

اليوم 170

ومتى تتبين الحقائق يا أمي فلا مشاحاة في الاصطلاح، فليسم كل أحاسيسه بما يتعين لديه من عمق، ولينعت ما يكنه بما تيسر له من لفظ، فإن غالب الأمر لا يعدو أن يكون نسبيا، لا يؤخذ بقول أحد للحكم على أحاسيس الآخر، فهذا مما تتقطع دونه المعاني، وتتعب في إدراكه الفهوم.

ومن مرامي الكلام ما يشم ولا يفرك، فإن فرك فقد صورته التي تقصدها منشؤه بالأصالة.

اليوم 171

يا أمي إنه لم يغدر غادر قط إلا لصغر همته عن الوفاء، وخمول قدره عن احتمال المكاره في جنب نيل المكارم، ومن أحقر الغدر يا إمّي ترك الابن الدعاء لوالديه، و إني لأرجو الله ألا ينسيني الشيطان الدعاء لكما في كل يوم بل في كل سجدة، وهو أقل الوفاء.

اليوم 172

ومما يذكر في جنب مدحك يا كريمة الخلق، شدة غضبك بسبب عداوة الأودّاء، وهو في أظهر صوره بين الإخوة، حين كنا صغارا قبل أن يلبس العقل ثوب رزانته، فيحدث ما يحدث بين الأشقاء، فلا نرى ولم نر ما هو أشد عليك من ذلك.
فمدي يدك ورجلك نقبلها طالبين العفو يا رحيمة القلب.

اليوم 173

أتذكرين يا أمي! أحيانا عندما تأخذني لهفة الشوق فأزورك طالبا ري ظمأ الحنين، فأجدك نائمة فأتسلل خارجا كي لا أزعج راحتك، فتفتحين عينيك قائلة: إلى أين أيها الأقرع؟ فأبتسم و أنا أقول: كيف أحسست بي و أنا لم أحدث صوتا، فتقولين: "إن القلب يشم القلب".

اليوم 174

متى نلتقي يا أمي؟ لأحكي لك ما فعل غيابك بي وبمن يحبك.

اليوم 175

رحم الله فوازا الشاعر إذ قال، فأتعبني قوله وليعذرني فقد غيرت الضمير للمؤنث فكسر الوزن، ولكن لمثل أمي تكسر الأوزان وتخرم القواعد:

مذ غبت عني في تجاويف الثرى * وأنا أرى ذكراك ملء جهاتي.

فأزف أفراح الرجوع إلى الورى * حينا وحينا أستحيي من ذاتي

أرجوك زريني ولو خيالا في الكرى * واكذبي علي وقولي أنك آتيه.

أوعودي وقولي إن موتي حديث يفترى * وخذي البقية من سنين حياتيه.

اليوم 176

رحم الله ابن خفاجة إذ يقول:

والنفس مالم ترتقبك كئيبة * والطرف ما لم يلتمحك كليل..

بل الروح يا أمي والجسد كله كئيب وكليل.

اليوم 177

يا أمي البر فضاح، فهو المسار الذي يتقطع في سابلته شراك نعل غير آخذ الأمر على جهة الحزم التي ترضي المبرور، وليس بعد تقطع الشراك مسير.. أسأل الله العون على بركما.

اليوم 178

علمني موتك أمي أن نجاح كل أمر متوقف على شرائط إذا تخلف أحدها مُنِيَ العمل بالخسارة، وضاع المجهود في تحقيقه، فلن يتحقق وأحد هذه الأركان قد غاب.. وهي متسلسلة هكذا: رغبة، إرادة، تخطيط، عمل، استمرار.. فلو أن مدعيا البر خالف هذه القواعد الراسيات لكان كذابا، وأشنع الكذب أن يكذب المرء على نفسه.

اليوم 179

لماذا يا أمي يتخلف الحبيب عن حبيبه؟؟ !!.. وأنا أمر بجنب بيتك أخال أني سأجدك، وحين أدرك أن الأمر قد قضي، أكمل طريقي على حال أسأل الله ألا يبتلي بها أحدا، فيكون الألم كبدايته، والغم كمولده الأول عند الصدمة الأولى بعد موتك.

اليوم 180

ومما يسعد له القلب يا ذات العيون الرمادية توقّلك في الفضائل، وحيازة رتبه العليا، ولا يسام من عرف قدرك هذا أن يسعد بفقدك.. ولا أعيب على من لم يذق، إنما إنكاري على من عرف وذاق، ولا يستسيغ هذا المقام.

اليوم 181

وعندي من اليقين يا أمي أن الله كريم، ما يجعل العين تقر، وحر الفؤاد يبرد، وحزن القلب يذهب، وثقل الهم يزول، وكل الكربات تحل، وبه فإن مقامك عند مولاك لن يكون إلا خيرا، وحسن ظني بربي عظيم..

فاللهم هذا أنا، وهذه أمي، نحن الضعيفان إلا بك، الفقيران إليك، أسألك أن تكرمنا يا ذا الجلال والإكرام.

اليوم 182

رحم الله الطائي يا أمي إذ يقول:

والحادثات وإن أصابك بؤسها * فهو الذي أدراك كيف نعيمها.

فعلا لا تعرف لذة النعيم إلا بعد تجرع مرارة الألم، فحقيقة لم أكن أعلم لذة وجود الأب إلا بعد أن جربت مرارة فقد الأم.

اليوم 183

وإن تسعفني الهمة واللغة يا أمي أكتب فيك كتابا بذهب يروق سبك إبريزه، ويرق حوك تطريزه من جواهر الكلم، ودرر المعاني، فيكون لي شاهدا بين يدي ربي، ولعلي أبلغ مبلغا من البر لم أستطعه حال حياتك.. فاللهم غفرانا على التفريط، وتوفيقا في البر.

اليوم 184

شراكة الأحاسيس لا تقتضي أبدا نفس المعاناة.

اليوم 185

ما بال يوم الجمعة يا أمي أصبح حزينا، موحشا، بعد أن كان ينبض سعادة، وألفة.. أين ذلك المزاح الذي يطرب به صاحب الفخامة المكان لأجلك؟

نشر السعادة من جديد في بيتك باب من بابات البر قد فتح، فلننشط له بروورا بك.

اليوم 186

و أنا أشاهد أم أمامة تكوي وترتب الملابس تذكرتك يا أمي، وكيف كانت رقة يديك تجعل الملابس كأنها حددت.. وكل الملابس في كفة، وملابس صاحب الفخامة في كفة، فلها العناية الفائقة، والأسلوب الفريد، عناية وأسلوب يحكيان آلاف العبر، وأروع نتائج الحب وأصدقه.

اليوم 187

ها أنا أصلي يا أمي الوتر كعادتي بجانب مجلسك، لكن بعد سلامي لم أسعد بنظرتك إلي، ولم تستمتع أذني بقولك: تقبل الله، ولم يفرح ظهري بتمريرة حنان من يدك، ولم يفز رأسي برقدة على ركبتك..

اللهم رحماك..

اليوم 188

وفراغ لا تملؤه الأجساد حري به أنه يتعهد ولا يترك.. فتركه يزيد من وحشته، ويقتل من لزمه حضور مشهده، يا أيها الناس خففوا عن الأب إن فقدت الأم وعكسه أوجب و أفرض.

اليوم 189

علمني موتك أمي أن رجاء كل محب أن يغرس ما ينفع حبيبه، ولازم هذا الغرس أن يكون أجدر بالزكاء، وأضمن للنماء، وكل الذي تعامل به بنوك فليكن على هذا النحو ضربه، فلا يشتكى الخطل من حبيب.. والأمر عندك ربح كله.

أخي فلا تمل الاسترسال.. واسلك هذا السبيل فإنه منجاة من الحزن، ومأمن من لوم النفس بعد الفقد.

اليوم 190

علمني موتك يا أمي أن كل نفس ذائقة الفراق، فلينظر كل امرء كيف يفارق خليله؟ وعلى ما يفارقه؟ ولم يفارقه؟

اليوم 191

ويطيب اللقاء، ويسعد المجلس، وتطرب الأنفس حينما تكونين وصاحب الفخامة في أرقى حالات الانبساط، فكنتما تديران السمر، بحيث تجعلانه لا يطول كي لا يمل، ولا يقصر فيختل ميزانه، فللكلام غاية، ولنشاط السامعين نهاية، فيختم أحدكما الجلسة بعبارة خفيفة، وبذكاء لطيف فيه حسن تخلص بغير إشعار بنزعة متعة المؤانسة، وبدون قطع مخل بانسياب المسامرة، فيقوم الكل وابتسامته على وجهه.. ضاربا موعدا لجلسة الغد بغير إلزام للكلام.. فهذه هي الحياة العائلية التي يتحدث عنها أرباب التنمية الذاتية قد نسجتماها بفطرة الحب..

رحم الله تلك المجالس..

اليوم 192

فلو أن أهل الدار فيها كعهدنا * وجدت مقيلا عندهم ومعرّسا..

هذا امرؤ القيس يا أمي يدمي بيته فؤادي، ويصيب كبدي.. يا أمي بدونك وإن ملئت الديار فهي خالية، فلا راحة فيها، ولا مقيل، ولا مرتع.

اليوم 193

أيها الأحبة من رأى أمي، فليخبرها شوقي..

اليوم 194

في جلسة مع بعض مشايخي جاء على لسان أستاذي سيدي عبد الرحمن الخرشي نقلا عن أخيه الشيخ سيدي عبد السلام رحمه الله، أنه كان يكره لفظة الفقيد لمن فارق الحياة، ويقول من ترك لم يفقد وما مات، يا أمي لست فقيدة حقا، فقد تركت كل أثر جميل، وكل ما ينبض حياة، فرغم المغادرة فأخلاقك تحكى، ومعاملتك تروى.. فعلا لست بفقيدة..

اليوم 195

يا أمي رغم أن بضاعتي مزجاة في البلاغة، وفن العبارة، ورشاقة اللفظ، وسبك المعنى، وتنميق الأسلوب، وحسن النظم.. إلا أن الإحساس إذا كان ينبض صدقا يغني عن هذا كله إيصالا، ويستغني به العيي عن النطق.. ويسعف الحزين فلا تختنق أحاسيسه بداخله.

اليوم 196

أما أنا فقد رأيت أمي البارحة مناما، على هيئة تحس الحبيب بالاطمئنان على حبيبه فالحمد لله رب العالمين، وأما أنت يا أخي فزرأمك شهادة وحقيقة، فأنت في نعمة لا يدرك حقيقتها إلا فاقد.

اليوم 197

وإنما اللسان يا أمي ترجمان القلب، وكل مكلوم لا يستطيع زم لسانه، وخطمه، وشكله، وربثه، إذ الحب بين الابن وأمه لا يحبس، ولا يحد، وكما قال الجاحظ:

"ومن نعم الله تعالى على العبد أن الصدر ليس بوعاء أجرام، وإنما يعي بقدرة من الله لا يعي العباد كيف هي؛ فيضيق بما فيه، ويستثقل ما حمل منه، فيستريح إلى نبذه، ويلذ إلقاءه على اللسان، ثم لا يكاد أن يشفيه أن يخاطب به نفسه في خلواته حتى يفضي به إلى غيره ممن لا يرعاه ولا يحوطه.." وهو الشأن تماما عندي.

اليوم 198

وإن مما يجد فاقدك يا أمي في سويداء قلبه من الألم كوخز الأشافي، ولسع الدّبر، فيعسر عليه الكتمان، فيجد مزاولة الجبال الرواسي أسهل من حفظ ألمه بداخله، فإذا باح بسره – المفضوح على وجهه وحاله – فكأنما ينشط من عقال، وقد قيل: الصدر إذا نفث برئ..

اليوم 199

في هذا الجو المطير، و أنا داخل غرفتك يا أمي توهمت أن أجد طبق الحساء جاهزا لكل و افد من خارج البيت وقد ذاق برد الشتاء وتبلل لباسه بالغيث، طبق يحمل كل معاني الدفء الأسري، رحم الله تلك الالتفاتات، وتلك اللحظات..

اليوم 200

وقد تحدث شدة الشوق يا أمي، وحدته، وقسوته.. ما لا يخطر على بال المحب من تعمد النسيان أحيانا.

اليوم 201

متى يجف الدمع يا أمي..؟ ومتى يرتاح الفؤاد..؟

اليوم 202

علمني موتك أمي أن أشد ما يسعد الأم والأب أن يريا ابنهما على هيئة مرضية، على المستويين الدنيوي والأخروي، فلا تستقيم لهما الحياة لذة إلا بهذين الشرطين، لكن إن هما فارقا الدنيا فظهرت لهم الحقيقة فلا يستقر عندهما الاطمئنان إلا إذا كان الابن على قدر عال من الصلاح فهو الأبقى والأنفع.

اليوم 203

حيّ على برّك من خلال إرضاء "صاحب الفخامة" رفيق عمرك.

اليوم 204

وبعض المصائب الصغرى يا أمي تنسي المصاب في الكبرى، ولو على غير سبيل الديمومة، فالخروج من تلك المصائب الصغار له ماله من إسعاد النفس، وترويح عن الفؤاد.. فالحمد لله رب العالمين.

اليوم 205

أزالوا عني يا أمي كل صورك رحمة بي يزعمون.. لكن لم يعلموا أن هذا الأمر يزيد من الألم، فكلما نظرت عيني إحداها اهتاج الفؤاد.. نصيحتي لكل من يرجو الرحمة بمتألم، دعه يقضي ذروة حزنه، ويستقصي قمة عذابه، دعه يبكي، فكل حبس يزيد في مدة الحزن والألم.

اليوم 206

ولو أن أحلم الناس يا أمي كان على قدر وافر من ضبط نفسه حال ألمه، ما قدر أن يملك انفجار الأسى من عينيه، وتغير سحنة وجهه، عندما يجري بلبه من ذكر ذلك إلا بتصنع شديد وتحفظ مفرط.

اليوم 207

يا أمي ها هو الغيث قد نزل كما تعشقين، وها هو الجو كما تحبين، وها هي الأرض مزينة كما ترغبين أن تريها، الكل هنا بخير يا أمي فما الخبر عندك..؟ وها أنا أقول لك إنا بخير كما تحبين أن تسمعين مني دائما أمي.

اليوم 208

أتذكرون كيف كنا نأكل من طعامها وندع تأففا ونستبدل الأدنى بالذي هو خير – أكلات المطاعم –، أين ما تحضرينه يا أمي؟ حتى آكل منه ولا أدع..

أيها الأحبة كلوا من طعام صنعته أمهاتكم فهو أعظم بركة، وأكثر نفعا، كلوه ما دام بين أيديكم.

اليوم 209

وما رأت عيني امرأة قط يحبها الناس أكثر من أمهاتهم مثلك.

اليوم 210

مجلس طلبة العلم يفتقد صوتك الرخيم، وأنت تدعين لهم بالتوفيق، اشتاقوا لنبرتك المحفزة، ودعواتك النافذة إلى قلوبهم.. رحم الله تلك الروح.

اليوم 211

لا يجمع الله للعبد بين ألمين وهذا من باب رحمته سبحانه تعالى، ومما جاء في الحديث ((.. ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط؟ هل مربك شدة قط؟ فيقول: لا، والله يا رب ما مربي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط..)) ولا أرى صبغة أعظم لمن فقد أمه -بعد رؤية وجه الله ثم لقاء نبيه صلى الله عليه وسلم- مثل أن يلقاها في الفردوس الأعلى، وكذاك أسأل الله أمي أن ينسيني شدة ما أجده باللقاء بك في أعلى درجات الجنة، إنه ولي ذلك والقادر عليه، ولا يسأل فيرد سائله خائبا، اللهم ظننا بك حسن عظيم، ورجاؤنا عندك حقيق متحقق بإذنك، يا ذا الجلال والإكرام.

اليوم 212

وحسن سيرتك ما زال صاحب الفخامة يتغنى به ويتسلى، ومثاله البارحة لما بدأت في تقطيع تفاحة، فجعل ينظر للقشرة المزالة فإذا بها الكثير من لباب التفاح، فقال مبتسما: لو رأتك أمك لكان لها معك شأن، فهي لا تحب تضييع النعمة وازدراءها.

اليوم 213

يحكى أن أمّا ماتت، وتركت ابنا مكلوما.

اليوم 214

اليوم يا أمي تتحفني أختي الكبرى بنفس دعائك الذي طالما طربت أذني بسماعه منك، واليوم أسمعه منها.

(سيرأخويا فينما درتي يديك يتيسرلك)، دعاء يضم الكثيرمن الحب، ويشمل كل معاني الود الأخوي المشوب بأمومة أخوية إن صحت العبارة.

اليوم 215

ومن عظيم شأنك يا أمي قوة حكمك وما تحمله من معاني الخبرة، ومن ذاك قولك:

جاهد نفسك في العمل، ولا تجهدها في التهمم كيف ستجيئ النتائج.

فعلمت بعد حين كيف لرؤيتك عمق لا يدرك إلا بحسن سريرة، فترك العمل يجلب لصاحبه كثرة لوم نفسه، والتهمم بالنتائج يجني عليه عذابات قد جربها من كانت هذه طريقته ومنهجه.

اليوم 216

أما و إنه وصلني سلامك يا أمي فهل وصلك سلامي..؟

اليوم 217

ومنهج التفاؤل علمتنيه، فلا يأس ما دام في العمر فسحة يا ذات العيون الرمادية.

اليوم 218

يا أمي حبست نفسي عن البكاء يقظة، ففاض سيالا مناما، فلا توقظني أم أمامة – في غالب أمري- إلا وما أتوسده قد شرب وارتوى من ماء عيني.. رحم الله هذا الشوق.

اليوم 219

كلما رحمنا الله بالغيث تذكرت أن العطر كلما رش ماء فاح طيبه، فكذلك سيرتك أماه كلما نزل الغيث فمس تربة رمسك تذكرت طيبها، وحلا لي سرد شريطها.. رحم الله ذلك العطر الزكي.

اليوم 220

موسم جني الزيتون له ذكراه المحلاة بنسائمك يا ذات العيون الرمادية، تذكرت يوم كنت تحضرين الزيتون، ليطيب مذاقه على أصله، من غير ما استحدث من مواد قد تسممه، فكنا لا نسعد بتلك الأكلات الأصيلة ونعرض عنها، فتقولين بروحك المرحة: سيأتي يوم تبحثون فيه عن مثل هذه الجودة بالمال ولا تجدونها، فنضحك جميعا.. رحم الله تلك العناية، وذلك الذوق.

اليوم 221

وفي يوم ذكرى مولده صلى الله عليه وسلم بأبي هو وأمي، أتذكر كلامك الرقيق في هذا المقام، جمعنا الله به شفيعا يوم القيامة يا أمي، راضيا عنا، محبا لنا.. يااارب.

اليوم 222

يا أمي اللقاءات عرجاء بدون جلستك السلطانية.

اليوم 223

يصعب على من شاركك مجالسك أن ترتسم على محياه تلك البسمات كما كانت.

اليوم 224

خطاب غير المجرب ليس كخطاب ذي اللوعة.

اليوم 225

المتشوق لمحبوبه معذور.

اليوم 226

هكذا صار الأمر، كل الناس تسعد يا أمي بيوم الجمعة إلا أبا أمامة.

اليوم 227

أرسل لي البارحة أستاذي الدكتور مصطفى متكل أبياتا في وصف موقف ابنه ياسر حفظه الله حين ودعه متجها إلى العمل، وكانت مؤثرة جدا، وأكثر ما هزني فيها بيته الأخير فطلبت منه أن يغير بعض ملامحه كي يناسب حالي وأمي فقال على البديهة:

قلبي هنا بالدوديات معذب * لفراق أم طيفها لم يرحل

اليوم 228

لا يقبّل أحد أمه على جهة الإرضاء، إلا وجد حلاوة ذلك في قبلات أبنائه.

اليوم 229

لا تخجلوا من تقبيل أمهاتكم فذاك خيط يربطك بمقام الآخرة، فلا تقطع خيطك بعذر من الأعذار.. واشدد عليه فلا تسل عن الحسرة بعد فقده.

اليوم 230

إن للحزن لسكرة، تحجب عن تلمس وإدراك بعض نعم الله، فلا سبيل للمؤمن بقدره سبحانه إلا المدافعة لهذه السكرة، رغم وعورة الأمر، لكن لا بد له منه عساه ينجو من تبلد الحس المفضي لانعدام إدراك نعم الخالق سبحانه..

نجاكم الله من الحزن وسكرته.

اليوم 231

ويذكرك يا نبع الحنان حفيداك أحمد وعبد الأحد فجر اليوم، وكيف كنت تفضين كل الخلافات بين الأطفال حال اجتماعهم في بيتك وما يعرف هذا الاجتماع من المشاكسات، وكيف كنت تقضين بينهم بحكمة ورأفة لا تترك الكل إلا وهو راض مسلم لقضائك الحكيم.. ذكرا ذلك وعلى وجههم ابتسامة مشوبة بحرقة الشوق.

اليوم 232

وأماه قد يحدث في الأمر ما تستشارين فيه، لكن أنّى لي ذلك، فتبقى غصة اتخاذ أي قرار من غير مشورتك، له من النقص ماله.

اليوم 233

أسقط حفيدك الأصغر عطاء الساعة فسقطت عقاربها فألهمني هذا السقوط أن الأيام والساعات بدونك لا مذاق لها، ولا اعتبار بتعدادها فكل سواء، هكذا أحس حقيقة بعد موتك، والصورة أبلغ في التعبير.

اليوم 234

ذكرني حادث حضرته البارحة بما كنت تعانيه أماه من التهمم بحالي، سقطت امرأة أمامي من شدة الجهد ومما يظهر من هيأتها أنها تجاوزت السبعين، فقام بعض الأحباب بالواجب اتجاهها، فاقتربت منها أسألها ما السبب الذي حملها على الخروج؟ و أثر عدم الاستطاعة ظاهر على صورتها، فقالت: إني أبحث عن ابن لي قالوا لي: أنهم رأوه في هذه المنطقة.. الله الله.. فمر شريط كل اهتمامك بي يا صاحبة الفضل الذي لا يرد ولن يرد، لعظمته ولقصور همة الابن عن همة الأم.

اليوم 235

وأصبحت يا أمي أبحث عن الأماكن الفارغة كي أحزن و أبكي ذكراك كما شئت، كيلا يتهمني أحد أني أنغص عليه عيشه، و أنكد عليه سعادته.

اليوم 236

و أنا أجالس صاحب الفخامة ليلا، تذكرت تلك الجلسات الإيمانية، واستماعنا واستمتاعنا بفرائد الشيخ الشعرواي، فأذكر تلذذكما بكلامه، وتذوق معانيه..

رحمك الله والشيخ الشعرواي وبارك في صاحب الفخامة.

اليوم 237

ومن مبادئك العميقة يا إمّي أنك إن أخطأ المخطئ فإن كراهيتك تكون لفعله لا له، وهذا ظاهر من خلال مقولتك التي تكتب بماء العين، وتسلب مهجة النفس: يا بني ليس فعلك هذا يبغضني فيك، ولكن أبغضك وقت فعله وتلبسه، ودليل كلامي هذا سرعة مسامحتك لي حال ترك ذلك الفعل المشين..
رحم الله هذه القواعد الأصيلة في منهج التربية.

اليوم 238

واعلم أخي أن من أبر البر ألا تجعل والديك يروك إلا على هيئة مرضية، فلا تزرهم إلا و أنت في أكمل هندامك وأليقه بمقامهم.

اليوم 239

موؤودة زمننا هذا: الكل يعلم عاقبة الموؤودة في ديننا، لكن الكثير يجهل بأنه من الممكن أن تكون له موؤودة، إن كل غياب عن والديك هو وأد لهما، وكلما طال الغياب كان وأدك لهما أشد، أما من أودعهما دار العجزة، فقد بلغ المنتهى في الوأد، أيها الأحبة إياكم وموؤودة العصر.. فهي أشد من موؤودة الجاهلية.

اليوم 240

ومما أذكره بيني وبينك يا أمي فأبتسم، خفة دمك واستملاحك أن أناديك يا أختي أحيانا، فتنشرح أساريرك، وبخاصة حال فعلي لشيء قد أقلقك، فتسامحين وتصفحين بعبارات تفتح باب الأمومة على مصراعيه، ومثال لعباراتك في هذه اللحظة وأنت مبتسمة: (والله يا راس الطارو ونشدك..)، هكذا طبع الأمهات كلما زالت الكلفة – مع بقاء الاحترام والتقدير طبعا – زادت المحبة.

اليوم 241

رجع بنا صاحب الفخامة إلى ذكراك يا صاحبة العيون الرمادية، فبعد أن دعاني للأكل قلت له: عفوا أبي فلست بجوعان الساعة، فقال مبتسما حزينا: كل فقد ماتت من ستسأل عنك أأكلت أم لا؟ حقيقة قد تسأل الزوجة زوجها هل أكل في يومه ما يسد جوعته؟ لكن ليس كسؤال الأم، فلكل مقامه، ومقام الأم لا يدرك.

اليوم 242

يا أمي وإن ادعى المرء البرفلا يسلم له بذلك حتى يصدق المقال الحال، ومفصل الأمروأحد تجليات صدقه دوامه.. ويحضرني الآن قول عنترة:

ولـيس سـباع البرمثـل ضـباعه * ولا كل من خاض العجاجة عنتر.

اليوم 243

وكل مناسبة تذكرني بك يا أمي، والحال هذه الأيام تهمم الناس بالاحتفاء بالسنة الجديدة(الميلادية)، أذكر حين كنت أمازحك بقولي: لم لا نحتفل يا أمي مثل الناس، فتقولين بحزم: دعنا من هذا نجانا الله من فعله.. ((أوهو أوليدي الله ينجنا منو)).

اليوم 244

خيالك يا أمي يفي بالغرض رسما، ولكن ! لا يتم عنده الإسعاد باللقاء، فاللقاءات تجاوب يا أمي.

اليوم 245

ذكرتني صورة لي بماض جميل جدا، حيث كان يأخذنا صاحب الفخامة في سفريات كانت لها من الذكريات الرائعة الكم الكثير، ذكريات أعظم من أن تجمع في كلمات ..

رحم الله ذاك الاعتناء منكما بنا.

اليوم 246

بعد يوم كثرت مشاغله واشتد تعبه، غفوت فرأيت فيما يرى النائم أنك أقبلت علي وكنت محضرا لمجلس خاص بك، أقبلت والبشر يعلو محياك، فأخذت أردد: أيها الأحبة ها هي ذي أمنا قد جبرت خاطرنا وجاءت، (ها هي امي دارت لينا خاطرنا وجات).. استيقظت وإحساسان يتجاذباني: الفرحة لبشرك، وحزن لكون الأمر مجرد حلم لا حقيقة.

اليوم 247

تخبرني أم أمامة ليلة البارحة بصرختي مناديا أمي حتى أيقظها ندائي .. رحم الله هذا الشوق.

اليوم 248

وأذكر يا أمي استحسانك لنهجي في التعامل حيال الابتلاءات، وظهوري بمظهر الباسم النشيط - رغم جسامة البلوى أحيانا - قائلة: رضي الله عنك يا بني فما سألتك عن حالك إلا أجبت بالحمد لرب العالمين.. لكن هذه يا أمي (وفاتك) قد قصمت الظهر، وأزاحت البسمات .. فأسأل الله ألا أغفل عن الحمد.

اليوم 249

دعواتك يا أمي فهذه مرحلة قابلة في بابة طلب العلم، محتاج لتلك الدعوات، رحم الله ذاك القلب.

اليوم 250

وفي يوم شديد القر كهذا، يا أمي تذكرت ملاطفتك لي لسبق معرفتك كوني محب الأناقة بقولك: صبرك على البرد عجيب في سبيل حفاظك على أناقتك، فنضحك سويا، يا لتلك الأيام !

اليوم 251

اه يا أمي لك الشوق كله.. يطربنا صديق ببيت شعري مفاده أن كل شيء عدم بعد فقد الأحبة.
مالي أكتم حبا برى جسدي..

اليوم 252

يا أمي أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني حين أتذكر وعورة مزاجي وتقلبه، وكيف كنت تلاطفين شخصا قد غاب عنه مقام البر أحيانا .. فاللهم غفرانك.

اليوم 253

ويذكر صاحب الفخامة - بسرور يدركه من عاش عمق الحب - حين وضعت الطبق الذي كان أول الأطباق شراء في بيتكما الصغير الذي نسجتماه بحب عميق رقيق، يذكر ذكريات لم تمح من ذاكرته، والسرور الذي بدا على محياه يلخص تلك السعادات.

اليوم 254

ولا سبيل لاحترام الأبناء لأبيهم إن لم يكن ديدن الأم ترسيخ ذلك فيهم، وذلك على مستويات: طريقة تعاملها معه، وطريقة حديثها عنه في غيابه، وشدة النصح لأبنائها في عدم مخالفته، و إقرار وتنفيذ أوامره، وتجنب ما يغضبه، وهذا كان نهجك يا سمّية الروح.. رحم الله ذلك النهج القويم.

اليوم 255

مسلوب الوداد .. مسلوب الحروف.

اليوم 256

ومن عظيم حكمك يا صاحبة الكلام البليغ..

المو اقف تَظهر ولا تُظهر.. دع مو اقفك تتحدث عنك، ولا تتحدث أنت عنها .. رحم تلك الحكم.

اليوم 257

ومن باب الاستملاح ما كان يقوله صاحب الفخامة لك عندما تجعلين أطيب ما يقدم من الطعام مما يليه، فيلتفت إلينا باسما: انظروا واشهدوا لعل أمكم جعلت سحرا فيما يليني، فنضحك جميعا.. نعم يا صاحب الفخامة إنه فعلا سحرولكن من نوع آخر، رحم ذلك الاعتناء.

اليوم 258

جاء في معنى فقير أي مكسور الفقار، فتأملت يا أمي لفظة فراق فقلت لعلي أصيب معنى:

فبما أن مادتيهما متقاربتان فلعل في معنى الفراق علقة بصاحبتها، فلما كان للأولى معنى الكسر كان للثانية معنى أشد وهو اختلاف فقرات ظهر المصاب به، والفرق بينهما ظاهر في كون مختلف الفقرات أشد ألما من مكسورها، وهو مأخوذ من تغير حروفها من صورة تقدم الراء على القاف.

اليوم 259

و أنا أقرأ يا أمي كتاب " رجال ولا كأي رجال" لشيخنا الفاضل فريد الأنصاري رحمه الله، فقست الأمر على النساء، لم لا يكتب الأدباء عن الأم، بالكم والكيف الذي تستحقه هذه الشخصية في مسار الحياة تكريما وتعظيما.. حقيقة هناك كتابات في هذا الصدد لكن أراها لم توف الأم حقها.

اليوم 260

بك يا أمي وصلت إلى أبي.

اليوم 261

علمتني وفاتك يا أمي أن الوقوف على الباب إما أن يفتح لك على نور أو نار، فالنور نعمة توجب الشكر، والنار ابتلاء موجب للصبر، والجهتان لا تأتيان من صاحب الشأن العظيم إلا لتخليص العبد له وحده، ثم الديمة على الرضا ..

فمن سلك هذا السبيل لا يعرف الشقاء بابه أبدا.

اليوم 262

لقد فعلت فيّ روحك يا أمي ما فعلت رسائل النور لبديع الزمان النورسي بشيخنا فريد الأنصاري رحم الله الجميع، حتى قال:

بدل أن أدرس رسائل النور صارت هي من تدرسني..

فقلت: فلم أعد أعلم يا أمي هل أنا من يكتب عنك، أم أنك أنت التي تكتبينني..؟

اليوم 263

يقولون قديما يا أمي: العادة تضعف الحس، وهذا الذي لا أجده عندما أكتب عنك، وإنما هو نبع فياض قد فجر حجره فلا أراه ينضب قبل اللقاء.

اليوم 264

كل الأحلام الحزينة يا أمي أرتاح عندما أستيقظ فأجدها مجرد أضغاث أحلام، إلا موتك فكلما رأيت في منامي حزني عليه، يزيد حزني وألمي لأني أجده و اقعا مرا.

اليوم 265

كيف الحال عندك يا أمي فقد رأت المحبوبة أختي الصغرى في منامها ما يسر الحبيب عن محبوبه، جعلها ربي حقا .. آمين.

اليوم 266

وتحكي أم أمامة لأمامة بعض حكي النساء، فتذكرت يا أمي عندما بدأت مرحلة جعل الغالية – أختي الكبرى- في مقام الكبيرات، إذ تحكين لها ما تحكيه النساء من حكيهن، فضحكت حينها وقلت لها لن تحتاجي بعد الآن نساء تدردشين معهن، فضحكت وضربتني ضربة المعاتب.. رحمك الله يا صفية القلب.

اليوم 267

يا أمي وددت لو أخبرتك بما جد من خبر حسن لدي والحمد لله، لكن ظني بالله أنه سيسعدك بأفضل من خبري هذا.

اليوم 268

رحم الله يا أمي الدكتور امتياز أحمد، فقد لمس شغاف القلب إهداؤه في كتابه دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث، إذ لم يزد في كلمة إهدائه على قوله: إهداء إلى أمي ..
رحم الله من عرف قدركن.

اليوم 269

في جلسة البارحة بحضرة صاحب الفخامة لم يترك فرصة إلا ذكرك فيها، حتى قال ابتداء بغير مناسبة ظاهرة لسياق كلامه السابق: ما مخرج حرف الحاء يا بني؟ فأجاب إشارة إلى حلقه، فعاد فسألني: وما مخرج الباء؟ فأجاب - بدون انتظار إجابة مني - إشارة إلى شفتيه، ثم نظر إلي هامسا: إنهما الحرفان المكونان للحب، فلا تتحقق حقيقته إلا إذا و افق ظاهر المحب باطنه، وأكد ظاهره باطنه.. ثم سلك بي التأمل سبيلا نتاجه أن كلامه هذا هو محض تفتق ما جمعته ذكراك الطيبة على هذا الرجل المحب.

اليوم 270

رأيت فيما يرى النائم البارحة أن أحدنا قال لك: سنبيع منزلك لشراء غيره، فثرت عليه وقلقت وقلت: ألا تعلم كم من الذكريات يحمل هذا البيت؟ وكم من جمال الجهاد البنائي شهد..؟ هذا بيت تركته لكم لتجتمعوا فيه، ويكون حلقة وصل بينكم..

فقلت لك: هوني عليك يا أمي، فلن نبيعه، وسنتركه ليجتمع فيه أحفاد أحفادنا، فخفف عنك كلامي ما وجدتيه من الكلام الأول، لا تقلقي يا أمي فسنبقى على اجتماعنا كما يسعدك.. لله درك توصين بعدم الفرقة في حياتك وبعد مماتك.

اليوم 271

يا أمي أي الحروف تسد هذا المسد، وأي المعاني تظل هذا الإحساس، إذ الشعور نار، والأحاسيس التهاب لا تكاد تخرج حروفا وكلمات حتى تبرد، وتفقد معناها الحقيقي.. فالشعور والإحساس يعاشان ويحسان ولا يكتبان.

اليوم 272

ما أخذ إلا ليمنح يا أمي، ما أخذ إلا ليمنح سبحانه.. لكن قصر الفهم عن إدراك صور المنح.. فرب قصور مبلغ لدرجة التفويض الكلي الموجب للرضى.. وهذا بعض عطاءات وفاتك.

اليوم 273

أيغلق الباب بعد فتحه يا أمي؟ حاشاه أن يغلقه دون من قرّب إلى مقامات الرضى، وبخاصة إن هو لزمه على جهة الوصل، وكان أمره ديمة، ونسج خيط الربط بين هذا وبينك أن السائل لرحمته لا يخيبه مولاه، وأنا هنا أدعوه أن يكون مقامك الفردوس الأعلى.. فاللهم هذا بابك وهذا عبدك، فافتح لعبدك، فإنه مقيم على عتبتك ينتظر البشرى..

فاللهم استجب يا كريم.

اليوم 274

تذكرت وصاحب الفخامة – في جلسة البارحة- ما كان يصنع بي على جهة ملاعبة الوالد لأبنائه، فكان يسقطني أرضا فيضع رجله القوية على بطني، فأقاوم بشدة، فترفقين بي، وتطلبين منه أن يخفف ثقل الحمل (عفاك أسي الحاج راه ثقلتي عليه)، وأنا أقول: دعيه يا أمي سأقاوم، وكل هذا في جو من السعادة التي لا توصف.. تذكرنا هذه اللحظات وأنا أقوم بنفس الحركة لابني أحمد أمام صاحب الفخامة.

اليوم 275

من المعلوم يا أمي في علم المنطق أن أنواع التقابل أربعة: الخلافان، النقيضان، الضدان، العدم الملكة، ومقصدي هنا الأول –الخلافان- فقد يجمع بين جهتين من غير تناف كالسواد والحلاوة وهذا يوجد في العنب مثلا، وهو الأمر الذي تذوقته تأملا في علاقتك بصاحب الفخامة، فكانت المسيرة تسير على جهة الرضى، بخلاف نظر شباب اليوم للزواج، فليفهموا هذا الطرح وليتعايشوا رغم حصول بعض التقابلات الموهمة للخلاف المؤدي للانفصام.

اليوم 276

رحم الله يا أمي الإمام الشافعي إذ يقول:

دع الأيّام تفعل ما تشاء * وطب نفسا إذا حكم القضاء
ولا تجزع لنازلة الليالي * فما لحوادث الدنيا بقاء
ولا حزن يدوم ولا سرور * ولا بؤس عليك ولا رخاء
ومن نزلت بساحته المنايا * فلا أرض تقيه ولا سماء
وأرض الله واسعة * إذا نزل القضا ضاق الفضاء..

ضاق الفضاء، ضاق الفضاء يا إمام، رحم الله أمي فقد ضاقت الدنيا بموتها على أحبتها.

اليوم 277

يا أمي يقول كثير عزة:

وما كنت أدري قبل عزة ما البكا * ولا موجعات القلب حتى تولّت

و أنا أقول:

وما كنت أدري قبل أمي ما البكا * ولا موجعات القلب حتى تولت..

رحم الله هذا الشوق.

اليوم 278

يا أمي..! شيبتني أمي وذكرياتها.

اليوم 279

و أنا أقرأ رسالة للحافظ الشيخ عبد الله بن الصديق كان في مقدمتها ما استشعرته يتحدث عنك، غير أن أمره غير أمري فاقتبسته فقلت:

وإن مجلسك يا أمي أثماره يانعة، ووواديه مريع خصيب، ونواديك يمنح قاصده من كل خير بنصيب، هكذا كنت أحس، فليحس كل امرء بمجلس أمه.

اليوم 280

فإن قيل يا أمي أليس لذات العيون الرمادية عيوب، فقد أكثرت المدح حتى يكاد أن يظن بها العصمة وهذا غير سديد في مقالكم أيها الابن، سأقول: إن الصارم لينبو، وإن النارلتخبو، وإن الجواد ليكبو، وكما قيل:

من ذا الذي ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا أن تعدّ معايبه

اليوم 281

إن تحقيق الرجولة متيسر طول حياة المرء، لكن مجال تلبسه بالبنوة على صفة الكمال قصير جدا؛ إذ هو مرتبط بوجود من بهما تتحقق، فليعتن كل امرء بشأنه هذا قبل الفوت.

اليوم 282

يا أمي بعد فوات كل سوانح اللقاء، ورجي الكلام مع ابنك، فما بقي في اليد غير الدعاء لنيل اللقاء الأخروي في جنته سبحانه.

اليوم 283

يا أمي أين إبريق الحليب بنكهة الريحان الطبيعي؟ في جلسة البارحة بالبادية كل الأمر موح بالسعادة فقد اجتمع الأحبة، لكن لمستك تركت فراغها الذي لا يملأ، حتى رائحة المكان يا أمي تحكي الشوق.

اليوم 284

الإفصاح معيب في بابة الشوق – إن طال بيانه – إلا إذا تعلق الأمر بالأم.

اليوم 285

لا يؤلم غياب الذات بقدر غياب الروح.

اليوم 286

رشقتني بعض الذكرى، فأصابت رأس الشوق فشجته، فسال دم حرقة الفراق.

اليوم 287

عند امتلاء العين دمعا، يذكرها القلب بالرضا.

اليوم 288

عظمة خصالك تتجلى حال حديث الناس عنك بعد وفاتك؛ الوفاة !! أي وفاة يمكن الحديث عنها، وروحك ما زالت تطوف بين أهلك جميعا.

اليوم 289

غير ما مرة ناديت عليك يا أمي رغم يقيني أن الجواب الحسي منعدم.

اليوم 290

عندما ألتفت يا أمي للماء الزلال البارد، فإني لا أتذكر إلا وجهك المليء رحمة.

اليوم 291

أيقصد بلوعة الاشتياق يا أمي النار؟! لا والله ليست بنار ولكنه إحساس فوقه، فأسأل الله أن يخمدها داخل هذا القلب الذي أضناه الشوق.

اليوم 292

هذه الهدايا (الدعاء لك) يا أمي تقدم على طبق البر، لعل مو افقة تصيبها فتقضي غايتها.

اليوم 293

خير الناس يا أمي عندي من ذكرك بخير.

اليوم 294

عبثا يا أمي نحاول إدراك مقام البر بعد الموت، ولا يسعفنا في ذلك إلا علمنا بسماحة روحك.

اليوم 295

سريان خبرك يا أمي بين القوم سبيل عزاء رفيق لقلب ابنك.

اليوم 296

أي حديث عن الأنس ومجلسك قد أفرغ من قفشاتك!

اليوم 297

والأمر بعدك يا أمي كما قال الجاحظ في رسائله:
والدفتر إذا انقطعت حزامته، و انحل شداده، وتخرمت ربطه، ولم يكن دونه وقاية ولا جنة، تفرق ورقه، وإذا تفرق ورقه اشتد جمعه، وعسر نظمه، وامتنع تأليفه، وربما ضاع أكثره، والدفتان أجمع، والحزم أصلح..
والدفتان في هذا المقام الأم والأب.

اليوم 298

وكما قال الجاحظ يا أمي: وأهل السعادة إما سالم من ذنب وإما تارك للإصرار ومن رغب عن التمادي نال أحد الغنمين.. والأمر في حال معاملة الابن لوالديه هو على هذه الشاكلة لا محالة، فمن لم يذنب في حقهما حصد السعادة برمتها، ومن أحجم عن معاودة سوء المعاملة معهما كان له نصيب منها، والمغبون من يذنب في حقهما ويعيد، فأي شقاء سيحمل وبخاصة بعد فقدهما.

اليوم 299

قال الجاحظ: "ولم أشك أنها نصيحة حازم، ومشورة وامق، أو رأي حضر أو حكمة نبغت، أو صدر جاش فلم يملك، أو علم فاض فلم يرد، استعمله من استعمله، وتركه من تركه.." والأمر تدرك قوته من صاحب تجربة قد فاته من الزمن ما ضاق به حاضره عن تداركه، فذاك شجن وحزن وأسف حري بالابن في مقام البنوة أن يغنم فرصة الأخذ عن والديه فهي لا تخرج عن كونها إما نصيحة حازم، أو رأي وامق... إلى آخر كلام الجاحظ.

اليوم 300

الحب الحقيقي لا يذبل يا أمي..

فكلما نظرت لأول هدية لك من صاحب الفخامة، أستشعر تلك السعادة التي كانت تغمرك عندما تنظرين إليها متذوقة تلك اللحظات وكأنها لم تقع إلا اللحظة.

اليوم 301

وهل يقضي الدمع ما بقي من الندم؟ وهل يجدي التيه ما كان من السّدم؟ وهل يأسر غير حب الأم عاشق سدم؟

اليوم 302

حتى صاركل مشهد يذكربك.

اليوم 303

الطيبون عندما يموتون يحيون بذكرنا لهم، ثم نموت نحن بهذا الذكر.

اليوم 304

الوالدان بوصلة رضا الخالق، وفقدهما يضيع معه ميزان هذا الرضا، فلا تعلم بأي فلاة أنت، ولا بأي يم سفينتك.

اليوم 305

وما زلت أذكر يا أمي مهما كان عظم جريرتي في حقك كان عفوك أعظم، فلا أزيد عن ابتسامة في وجهك، أو انكسار أمامك حتى أجد الحضن قد فتح بابه على مصراعيه.

اليوم 306

يا أمي كلما فقد الأثردل عليه الدمع.

اليوم 307

ألا يا أمي فمنّي بعودة حتى أحكي لك كل ما بعدك وقع.

اليوم 308

يا أمي وهل تأخذ الدنيا وما جرياتها الابن على جهة النسيان، حتى إذا ما نهد إناء تعوّده، نهضت همة دمعه فعادت به إلى ما كان عليه من حال.

اليوم 309

صدقت أيها الر افعي لكن أي وطن تقصد أنت، وأي وطن أعني أنا..

ومن يظلم الأوطان أوينس حقها * تجبـه فنـون الحادثـات بـأظلم.

اليوم 310

قال الر افعي في وحي قلمه:

ولكن الأسرة لا تقوم على سواد عيني المرأة وحمرة خديها، بل على أخلاقها.. رحم الله ذات العيون الرمادية.

اليوم 311

قال الر افعي في وحي قلمه:

"فلما جاء الربيع، كان فرح جميع الأحياء بالشمس كفرح أطفال عادت أمهم من السفر"..

وها نحن يا أمي كالأطفال ننتظر عودتك، متناسين و اقعية الأمر المريرة.

اليوم 312

فاربعي على ضلعك يا زهرة البرتقال، فالتي تسعد ببياضك، وتنتشي بنسيم عطرك قد غادرت.. وارفق بجناحيك أيها النحل فالتي يستهويها حومك على زهر الربيع قد سافرت.

اليوم 313

يا كريم يا ذا الجلال والإكرام ارحم هذا القلب الموثوء، وأكرم هذه الروح التّعبة، واغفر هذا الحزن المستدام.. فإليك الأمر كله، فارفق بعبدك فإنه مسلّم أمره إليك، فلا ركن يلاذ به إلا ركنك الشديد.

اليوم 314

وأنا أنظر يا أمي لقبرك سدرت عيني أسفا، وتقوس ظهري قهرا، واجتمع الدم في وجهي خجلا، وأكرهت بصري على غير جهته حياء، وأجريت شعاع ناظري في غير مجراه تأدبا.

اليوم 315

بعض من تحليل شخصيتك يا صاحبة العيون الرمادية وجدت الرافعي يفصح عنه في وحي قلمه:

"إن الفضيلة فطرة لا علم، وطبيعة لا قانون، وعقيدة لا فكرة؛ وأساسها أخلاق الدين لا آراء الكتب".

اليوم 316

وبعدك يا أمي صاريتجاذبني إحساسان، الأول:
أني لم أعد أقدرعلى فقد غال، صاحب، حبيب.
والثاني: الأمرسيان، فليس بعد مصيبة فقدك مصيبة أعظم منها.

اليوم 317

وكانت بسمتها يضيء لها الصباح.

اليوم 318

أخذت دواء لتهدئة صداع برأسي، فالتفت إلي صاحب الفخامة مغضبا قائلا: دع عنك هذه الأدوية فمثيلها كان سببا في مرض ذات العيون الرمادية.. فأغرق في صمت رهيب، وعينه قد امتلأت دمعا.

اليوم 319

تقول الأهازيج الغجرية الضاربة في القدم: لو خيروني بين الثراء وبينك لاخترتك، ولو خيروني بين أن يذكر اسمي عبر التاريخ وبينك لاخترتك، لو خيروني بين المجد وبينك فلن أختار غيرك يا أمي، يكفيني أن أكون بين ذراعيك حيث أحس بكل السعادة.

اليوم 320

أيها القبر تلطف بعظمة أوت إليك على سبيل المرحل، عطّر تربتك فالذي سكنك روح تعشق الجمال.. يا قبر بالله عليك لا تكن موحشا فقليها رقيق رفيق.. إيه يا قبر إن للنظر فيك عبرة فلنعتبر.

اليوم 321

تقول الأهازيج الغجرية القديمة:
خذوا كل شيء وأعطونا الفرصة لأبدأ من الأول، أعطونا الفرصة كي أكون بين ذراعي أمي، أعطونا الفرصة أن أقبل وجنتها، أعطونا كل البدايات وخذوا كل شيء.

اليوم 322

فلا يغرنّك قولهم ستنسى مع مضي الزمن، فأعد للأمر عدته.

اليوم 323

كل أمر المتشبع بما لم يعط مذموم شرعا وعقلا، إلا مظهر للسعادة على سبيل التصنع فشأنه محمود في بابه، بل قد يؤجر عليه.

اليوم 324

أي عيد للمرأة يحتفلون به بعد موتك..!!؟

اليوم 325

علمني موتك أمي كيف أدرك ماهية السعادة، علمني موتك أن بعض ما يزدرى حاضرا قد يتأسف عليه مستقبلا، ويحزن عليه أشد ما يبلغ الحزن من قسوة.

اليوم 326

هل حقا يا أمي كما يقولون ليس للّقاء الجسدي المحسوس أهمية، وإنما العمدة على التواصل الروحي !؟ إن كان الأمر كذلك وهو ليس كذلك، فلماذا بكى العمران حال وفاة حبيبهما وحبيبنا صلى الله عليه وسلم.. سيعلم كل من ادعى ألا أهمية للقاء العيون حين يجرب الفقد، كم كانت كلماته واهية.

اليوم 327

مالي ولجرير في هذه الليلة الليلاء، قلّبت المواجع يا فحل الشعراء فإن قلت في مرثيتك عن بنيك الصغار بعد موت أمهم:

ولهت قلبي إذ علتني كبرة * وذوو التمائم من بنيك صغار.

فإني أقول في بني أمي وهم كبار:

ولهت قلبي إذ علتني كبرة * وذوو العمائم من بنيك كبار.

اليوم 328

وكأني بصاحب الفخامة يتمثل قول جرير:

لــولا الحيــاء لهــاجني اســتعبار * ولــزرت قبــرك والحبيــب يــزار

ولقــد نظــرت ومــا تمتــع نظــرة * في اللحــد حيــث تمكــن المحفــار.

رحم الله هذا الشوق.

اليوم 329

لا تزوروا الأماكن التي توفي أحبابكم بها، وقبضت روحهم فيها.. !

اليوم 330

عجيب أمر الأقدار !

ها هو قدري يسوقني يا أمي أن أزور مكان وفاتك في نفس اليوم الذي قبضت روحك الطاهرة.. فحقا عجيب أمر القدر.

اليوم 331

وحضن خالتي يا أمي يذكرني بكل ذلك.

اليوم 332

يقول عنترة في عبلاه:

وليت خيالا منك يا عبل طارقا * يرى فيض جفني بالدموع السواكب

كيف بك يا عنترة إن قلت في أمك شعرا؟ !

اليوم 333

ويذكرني بك يا أمي قول قيس بن الملوح:

نهاري نهار الناس حتّى إذا بدا * لي اللّيل هزّتني إليك المضاجع

أقضّي نهاري بالحديث و بالمنى * ويجمعني والهمّ بالليل جامع

اليوم 334

أجابني خالي على مكالمتي الهاتفية، فإذا بابنك يا أمي يتوقف عنده الزمن لشدة مشابهة صوته لصوتك، فأخذتني نغمات تلك الحروف كل مأخذ حتى تذكرت كل ما كان..

فاللهم ارحم شوقا قطّع الأوصال.

اليوم 335

يا صانع النمارق قد رحلت التي كانت تأخذها منك، فتجعلها في بيته سبحانه وتعالى.. تقبل الله تلك الصدقات يا صاحبة السر.

اليوم 336

ويسقيني يا أمي حبيب قريب برسم لصورتي معك، وهذا من بعض جمال روحك الذي شغل الناس حتى بعد أن رمس الجسد، لكن لا ضير فالجسد ليس إلا آلة تحمل روحا، فإما أن تكون الروح أعظم من الجسد، فيبقى ذكرها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وإما أن يكون الجسد أعظم، فتنقضي القصة كلها بالوفاة المادي..

شكر الله لك سعيك أخي الفاضل، فهذا مما لا ينسى لك.

اليوم 337

والغيث نبأ خيريا أمي.. في هذا الجو المطير أتذكر دفء إحساسك، فأسأل ولي نعمتي أن يزيدني من نعمه، فيبلغني عنك خبر الخير.. والزمان الآن زمان استجابة.. فاللهم استجب.

اليوم 338

ويجول بخلدي يا أمي معنى لفراق روحك جسدك فأعدم الإفصاح والبيان حتى وجدت بيت المتنبي الذي يرثي فيه جدته إذ قال:

وإني لمن قوم كأن نفوسنا * بها أنف أن تسكن اللحم والعظما.

اليوم 339

كيف بي يا عنترة لو كنت شاعرا لقلت في أمي ما يرقى لمقام نظمك أو يعلوه..

جازت ملمات الزّمان حدودها * واستفرغت أيّامها مجهودها
وقضت علينا بالمنون فعوّضت * بالكره من بيض الليالي سودها
بالله ما بال الأحبّة أعرضت * عنّا ورامت بالفراق صدودها.

اليوم 340

رحمك الله يا نقشبندي، فكم يذكرني ابتهالك - مولاي إني ببابك - بأمي، وكيف كانت صاحبة العيون الرمادية تنتشي بتذوقه، فيأخذ منها تذوق هذا الابتهال كل مأخذ.. رحم الله تلك الأيام.

اليوم 341

أي رعاية تحمل نظراتك يا أمي حتى و أنت في النزع الأخير؟ وأي ألفاظ تستطيع تحمل تلك المعاني كلها، وكأنك توصين كل فرد بما لا يعد من النصح والوصايا.. عجيب أمرك سيدتي حتى في اللحظات الأخيرة تبثين الطمأنينة في قلوب من حولك.. رحم الله ذلك الاعتناء.

اليوم 342

خذوا كل السعادات وأعطوني ابتسامة ذات العيون الرمادية..

اليوم 343

أين الشاحن يا أمي؟ فقد بلغت البطارية الحد الأدنى، الذي بعده ليس هناك إلا الانطفاء، مدي يدك يا أمي فهي الشاحن.

اليوم 344

وكذا يحدث مع ابنك يا أمي:

متى يا كرام الحيّ عيني تراكم * وأسمع من تلك الدّيار نداكم

ويجمعنا الدّهر الذي حال بيننا * ويحظى بكم قلبي وعيني تراكم

أمرّ على الأبواب من غير حاجة * لعلّي أراكم أو أرى من يراكم

اليوم 345

ومما أود أن أشكو إليك يا أمي، أني بعدك ما لست لواسا، ولا ذقت ذواقا يصل لشهي طعامك، بل لا يقرب من روعته فأنى له ذلك، فما بعد طعامك لذة تذاق في أطعمتهم جميعا.

اليوم 346

قلب الأم خَبَّار:

أتذكرين يا أمي كيف كانت قراءتك لعيون ابنك سرورا أو حزنا، فتكتفين بالنظر لها مخبرة إياي عن حالي بدون أن تسمعي مني ولا كلمة واحدة.

اليوم 347

فإن وعدك أحد ألا يفارقك فلا تثق به، فحتى أمي فارقتني.

اليوم 348

عجيب أمر وفاتك يا أمي، وعجيب كيف تحزن حتى الجمادات لموتك.

اليوم 349

وكانت رغم شيبها تحمل روح طفلة، قهرت الدنيا بلمستها البريئة، فما وسع دنياها إلا الامتثال لهذه البراءة إسعادا وبهجة..

فرحم الله تلك البراءة.

اليوم 350

إيه يا زهير، أما و إنك قد قلت:

الشـــوق نـــار حاميـــه * ولقـــد تزايـــد مـــا بيـــه

يـا قلـب بعـض النّاس هـل * للضّـيف عنـدك زاويـه

إنـي ببابـك قـد وقـف * ت عســى تـردّ جوابيـه

فإني أقول فيك يا أمي:

يـا قلـب خيـر النـاس * هـل لابنـك عنـدك زاويـه

اليوم 351

خرجنا من حفل حفيدك، وأنا شبه متيقن أني سأجدك منتظرة بعد العرض كعادتك لأخذ صور تجمعنا، لنرسم لوحة من السعادة كما هي عادتك، لكن !..

يا فاطم ! يا أختي! يا عظيمة القلب، أحسست بعملك الجبار في خلق جو السعادة في تلك اللحظة التي لم نجد فيها أمي في الانتظار، يحسب لك كل هذا يا عظيمة القلب، ولك أجره من العلي العظيم.

اليوم 352

سألت أم أمامة حفيدك عطاء فقالت: أين أمي؟ وعادته أن يجيبها بإشارته لصورتك التي على الهاتف، لكن البارحة كان الجواب على غير عادته فقال: " باح .. والو" .. فعلا يا بني ما كذبت باح والو.

باح والو: لفظتان دارجتان معناهما لا يوجد شيء.

اليوم 353

ذهبت يا أمي أزورك و أنا أحمل نفسي بنفسي إلى الروضة، وقد مات لي من الخواطر موتى لا ميت واحد، فكنت أمشي وفيّ جنازتك، أحمل بين صدري روحا تبكي، وروحا يُبْكى عليها، فبعد كل هذا كيف يقول القائل منهم: وكأنه الوحيد الذي ماتت أمه، يا هذا لا تشابه بين الأمهات فع هذا.

اليوم 354

أيعقل يا أمي أن حال الحول ولم أقبلك !! ولم أتمتع بتلك العيون الرمادية ! ولم يسعد قلبي بريّ من مجلسك ! ها هو الزمان يدور كهيئته، وكنت قد وعدت الأحبة أن أدع هذه الكتابات فقد قلبت بها المواجع – هكذا يقولون – وكما قالت أسماء رضي الله عنها للحجاج في مقتل ابنها حين علق جثمانه، أما آن لهذا الفارس أن يترجل.. سأقول لقلمي أما آن لهذا المداد أن يجف.. إن الحكي عن الأم حين فقدها لهو الألم الشديد، وبخاصة إن عدم الدمع.. هذا الدمع يا أهل الأحزان مغاسل فلا تبخلوا على أنفسكم به.

يا أمي إن فراق الكتب عنك بعد فراقك أمر مسوق إليه ابنك، هذا الابن الذي قد يحمل من الثقل ما لا يطيق بهذا الترك.. الآن يبدأ البر المنظور يا أمي بعد أن تقصدت إنهاء البر المسطور..

وهذه كلمات كتبتها لعل متعظا يتعظ بحالي فيتدارك ما فاتني، فنسقى معا بماء الأجر لعل غصن الإسعاد ينتعش بعدما ذبل، ولعل طريقا يرى بهذه الإنارة، ولعل عاقا يرجع عن عقوقه، ولعل ولعل ولعل..

فاللهم ما كان من ذنب غير مقصود فاغفره لي، وما كان من نفث لحزن قد أفضى بي إلى قول ربما يفهم منه عدم الرضى بالقدر، فتجاوز عني فيه، فلست الذي يعترض قضاءك أو لا يرضى بقدرك.

الطبعة والورقة الوطنية
IMPRIMERIE PAPETERIE EL WATANYA
زنقة أبو عبيدة، الحي المحمدي، الداوديات - مراكش
RUE ABOU OUBAIDA, CITE MOHAMMADIA, DAOUDIAT - MARRAKECH
TEL.: 05 24 30 37 74 LG / 05 24 30 25 91 - FAX: 05 24 30 49 23
iwatanya@gmail.com www.elwatanya.com

أنـا وأمي

هذه خواطر أبثها مدادا بعد أن كانت ألما وحرقة، أحاول بها سحق وحش الشوق، وأسلخ بها ظهر الفقد، أخرجتها من بين لبن وعسل؛ لبن الرضى، وعسل المواساة، أعزي بها نفسي، وأذكر غيري.

ومراداتي من هذا الكَتْبِ، استدرار الرحمة لأمي رحمها الله، مع جهاد في فهم معنى البر، وسؤال الله أن يبقيه صدقة جارية تخدم هذا المقصد، ومن أغيى غاياتي أن يتعظ غيري -ممن مازالت أمهاتهم على قيد الحياة- بحرقة فقدي لأمي، فيسعفه الزمن في التزام برها، والخوف من فوت الركب، ويتقي صفعات الحسرة.

فإلى كل بار تذكير بالزيادة في بره.. وإلى كل غافل تنبيه لعل التنبيه ينفعه..
ومما سيجده القارئ في هذا الكتاب من باب البر أني جعلت لأمي اسم : "ذات العيون الرمادية" لرقتها، ولأبي اسم :
"صاحب الفخامة" لهيبته .

راجيا من الله بلوغ المقام الأعلى من البر.

توفيــق الغدويني